السيد عبد الحسين دستغيب

صلاة الخاشعين

السيد عبد الحسين دستغيب

ترجمة:

السيد أحمد القبانجي

دار التعارف للمطبوعات
بيروت - لبنان

صلاة الخاشعین

صلاة الخاشعين

السيّد عبد الحسين دستغيب

دار التعارف للمطبوعات

١٤١٤هـ ـــ ١٩٩٥م

دار التعارف للمطبوعات

الادارة والمعرض . حارة حريك ـ المنشية ـ شارع دكاش ـ بناية الحسنين
تلفون : ٨٣٧٨٥٧ ـ ٨٢٥٧٥٨ ـ ٨٢٣٦٨٥
صندوق البريد . ٨٦٠١ ـ ١١ ـ ٦٤٣ ـ ١١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مِن الناسِ مَنْ يقفُ بين يَدَيْ الله تعالى بجسمه ـ لا بجوارحه ولا بروحه ـ فهو يؤدي فريضته وكأنه غائب متخلف عن الكتاب الموقوت ،غافل عن التوجه الكامل والخشوع العميق لأنوار الحضرة الإلهية ، فإذا به يبتعد عن ملكوت الرحمة والمغفرة في حين يُفترض فيه أن يكون قريباً منها ، ضارعاً إليها ، متوحداً معها . . كيف لا ، ومولاه الذي يدعوه إلى موعده ، حاضر ، شاهد ، سميع ، مجيب ، أقرب اليه من حبل الوريد ؟

هؤلاء يُفْرغون الصلاة من محتواها الروحي ويحوّلونها إلى طقوس جامدة، خالية من الروح . . فهي ـإذن ـحركات «رياضية» بلا معنى ولا هدف، وأولئك ليس لهم من صلاتهم إلاّ التعب والنصب ، وليس لهم منها إلا الجوع والعطش ـ كالصائم المرائي سواءً بسواء ـ : الجوع إلى رحمةٍ لا سبيل لهم إليها ، والعطش إلى مغفرةٍ لم يعرفوا كيف ينالونها ، وهي في متناول أيديهم ! نَعَم إنها في متناول أيديهم ، لأن أبواب الإجابة أمام المصلّي الخاشع الوَجِل مُفَتَّحة ، ولأن حياض الرجاء لمثله مترعة .

أجَلْ مِنَ الناسِ مَنْ يَحْرِمُ نفسَه نعمةَ الإتْيان بالفريضة على الوجه المطلوب ، فيبوء بالخسران ، كالمزارع المغرور الذي يدخل جنته لِيَصْرِمَها فيجدها خاوية على عروشها . . فلا يملك إلاّ أن يقلّب كفَّيْه حسرة وندامة ،

ويعود صِفْرَ الكفّ ، بينما يجني سواه ـ ممن أحَسَنَ الغِراسَ وكان من الشاكرين ـ خَيْراتٍ جُلّى وثواباً وبركات .

في هذا الكتاب الزاخر بالنفحات العرفانية المتوثبة يرشدنا المؤلف شهيد المحراب آية الله السيد عبد الحسين دستغيب إلى أسرار الصلاة ويجلّي لنا معانيها العميقة بأُسلوب يجمع بين السلاسة والمتانة . كما يقدم لنا طائفة قيّمة من الإرشادات والتوجيهات لنعرف كيف نستعدّ لمحاربة النفس والشيطان . . ومن ثم العمل بها حتى تشملنا العنايات والألطاف الإلهية ، وصولاً إلى نيل المقاصد العليا والإرتفاع إلى أسمى المراتب .

أية نشوة كبيرة وخير عميم أن يقرأ المرء صفحات هذا الكتاب التي تعلّمه المعنى الحقيقي للصلاة ، أي الصلاة التي تُؤدى بخشوع وطمأنينة وحضور قلب وإخلاص وتَوَجُّه ؟

« صلاة الخاشعين » ، قبسٌ من نور عالِمٍ جليل ، كَتَبَ فأجاد ، .

وهو دليل هدى ورشاد لمن يبحث عن كيفية السلوك إلى الله تعالى وعن طريق النجاة من أخطار الدنيا والآخرة .

بين يدي الكتاب

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم اجمعين .

وبعد فيقول مسوّد هذه الأوراق عبد الحسين بن محمد تقي دستغيب الحسيني إنَّ هذه مجموعة مقتبسة من القرآن الكريم وأخبار أهل البيت المعصومين الطاهرين وكلمات الصالحين وهي تشتمل على مقدّمة وأربعة مطالب وخاتمة .

مواضيع هذا الكتاب

أمـا المقدمـة فهي عرض موجز لأصول الدين وبعض الأخبـار الـواردة في فضل الصلاة .

والمطلب الأول في بيان الأدلة الواردة حول حضور القلب وأهميـة الخشوع في الصلاة الذي هو شرط أساسي في قبولها .

المطلب الثاني في بيان المقصود من حضور القلب وكيف يمكن تحصيله .

المطلب الثالث في بيان معاني افعال الصلاة وأقوالها ومقدماتها .

المطلب الرابع في باب الشروط الباطنية للصلاة وموانع قبولها .

والخاتمة في عرض موجز لكيفية السلوك إلى الله وطـريق النجاة من أخـطار الدنيا والآخرة .

الذين يطلبون الحق

لا يخفى انني قـد تصـديت لكتـابـة هـذه المجمـوعــة في عصر تعتـبر كلمات الحق هذه أوهاماً وأخيلة يسفّه أهلهـا ويُسَخَّفون ﴿ذرهم يـأكلوا ويتمتعوا ويلههم

الأمل فسوف يعلمون﴾ [1] . فسوف يعلمون عند الموت وزوال الحجاب انهم كانوا نياماً **﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾** [2] . والذي ارجوه من قراء هذا الكتاب أن لا ينظروا إلى ضآلة بضاعة الكاتب بل ينظروا إلى مضامينه كما قال أمير المؤمنين (ع) :

ـ «انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال» .

الموعظة من أجل العمل لا اليأس

والرجاء الآخر من القارىء العزيز عندما يقرأ هذه الأوراق أن لا يشعر باليأس والعجز عن القيام بهذه الارشادات والتوجيهات المذكورة بل يستعد لمحاربة النفس والشيطان ، والعمل بها حتى تشمله العنايات والألطاف الالهية بالتدريج وينال المقاصد العليا : ويرتفع إلى الدرجات السامية .

وعليه الحذر من التهاون ، والتسامح في أمر النفس والشيطان لأن كل يوم ينقضي من العمر تزداد شوكة المعاصي والرذائل الأخلاقية شدَّة وتشتد الغفلة عن الوقوف بين يدي الله عز وجل فيكون أكثر استعداداً وتأهلاً لدخول جهنم بعد انفصال الروح عن البدن .

طلب المغفرة للمؤلف

والرجاء الآخر من القراء هو الدعاء لهذا الكاتب الفقير وطلب المغفرة له ، فقد ورد في الكافي عن الإمام موسى بن جعفر (ع) أنه قال : «من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش ولك مائة ألف ضعف» [3] .

---

(١) الحجر / ٣ .
(٢) ق / ٢٢ .
(٣) اصول الكافي : ٥٠٨/٢ .

كمال الموجودات سبب خلقها

إن لكل نوع من الموجودات كمالاً خاصاً به وقد خُلق لأجل ذلك الكمال فمثلاً خلقت الجياد للركض في الحروب ولاستعانة الإنسان بها في أعماله ونزهته . وكذلك خلق الحمار لحمل المتاع ، فلو عجز الحصان عن كماله وحل محل الحمار في حمل المتاع فهو نقص بالنسبة إليه .

وهكذا الأمر بالنسبة للانسان حيث أن له كمالات خاصة لا توجد عند سائر الموجودات ، وهي العقل الذي أعطاه الله إياه ليتعرف على ربه بواسطته ، ويدرك عجائب المخلوقات ، ويتخلص من براثن الشهوة والغضب ويستعد بتهيئة أمور السفر إلى الآخرة .

غفلة الانسان هي السبب

أما نقصانه المهلك، فيكمن في نسيانه وغفلته عن هذا الأمر ، وأنه مخلوق لأمر آخر ويجب عليه أن يتعرّف على مبدإه ومعاده ، فبسبب الغفلة ونسيان الآخرة يتصور الانسان نفسه مثل سائر الحيوانات التي تقضي أوقاتها في الأكل والشرب والنوم والجماع وتوفير مقدماتها ، فحاله كحال البهائم ، أويقضي عمره في التغلب على الآخرين والاستيلاء على حقوقهم فيكون في هذه الحالة كالوحوش .

ومع أن هذه الأمور من الأكل والشرب والنوم والجماع وتحصيل مقدماتها كلها يكون المقصود الأصلي منها إشباع الحاجة الضرورية وبقاء الجسد ، لا انها المقصود الأصلي للإنسان ، أي أن الإنسان لم يخلق للأكل والنوم والجماع بل هي أمور لازمة للبدن واستمرارية الحياة فيه . فيجب تحصيل هذه الأمور بمقدار الضرورة والحاجة لا أن يصرف الإنسان كل همه وعمره في هذه الأمور المادّية .

مسكين هذا الانسان حيث نسي مقتضى ذاته وغفل عن تحصيل كماله

ووآسفاه في ذلك اليوم الذي ينتبه فيه من سكرته وجنونه ﴿وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الأمر﴾ (١) .

معرفة الله من معرفة النفس

قلنا إن الإنسان خلق لمعرفة المبدأ والمعاد ، والحقيقة هي أن سعادة الانسان تكمن في معرفة ربّه التي تتم من خلال معرفة النفس . وقد سمعتم بالحديث المعروف :

- «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» .

وتوضيح هذه الفكرة بصورة موجزة طبعاً : أنه ينبغي للانسان أن يفكر وينتبه إلى أنه لم يكن قبل سنوات ولم يكن له اسم ولا رسم ، والقرآن الكريم يذكر هذه الحقيقة بصورة تساؤل واستفهام ويدفع بالإنسان إلى التفكير في ذلك وفي جوابه الواضح جداً ولا يغفل عنه : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ﴾(٢) .

ومن البديهي أن جوابه ايجابي ، فقبل مائة عام لم يكن أي واحد منا وبعد مائة عام لا يبقى أي واحد منا عادةً .

التفكير في خلق جسم الانسان

كان الانسان نطفة قذرة فوفرت له يد القدرة الإلهية سمعاً وبصراً ورأساً ويدين ولساناً . وخلق لها عروقاً وعظاماً ولحماً وجلداً وغيرها .

يجب على الإنسان أن يتأمل في وضعه الحالي ، فهو عاجز عن خلق شعرة واحدة . هذا مع قدرته المتوفرة لديه الآن ، وأما عندما كان نطفة فقد كان لا

(١) مريم / ٣٩ .
(٢) الإنسان / ١

يملك من هذه القدرة شيئاً . اذن فكل هذه العجائب التي يمتلكها الانسان ليست منه وانما خلقها الله تعالى وبعد ذلك يعرف الانسان حكمة الله تبارك وتعالى وعظمته من كيفية خلق هذه الأعضاء والجوارح .

احاطة النفس بالجسد

ويتعرف الانسان كذلك على إحاطة الله تعالى العلمية بجمع الكائنات من طريق إحاطة روحه هو ببدنه ، واطلاعها على كل ما يجري في هذا البدن ويعرض عليه من الحالات فيدرك بذلك علم الله الكامل بجميع الأمور .

وكما أن الروح لا يمكن ادراكها بالحواس الظاهرية المادية لأنها ليست بجسم ، وانما يمكن أن يحس بآثارها في بدنه ، ويعلم بوجودها من خلال تلك الآثار إذ بمجرد انفصالها عن البدن تزول تلك الآثار والعلامات حيث يتفسخ البدن بعد عدة أيام من انفصالها عنه .

فكذلك بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى ، فلا يمكن ادراكه بالحواس الظاهرية وانما يمكن رؤية آثار قدرته وعجائب خلقته وحكمته في مظاهر هذا العالم الموجود وادراكها .

اشباع الحاجات الجسدية

عندما نلتفت إلى حاجاتنا نجد أننا محتاجون من كل جهة ، فنحن محتاجون إلى اعضاء الجسم قبل كل شيء ثم المأكل والملبس والمسكن وحين نتأمل أكثر نجد أننا بحاجة لأجل توفير الغذاء إلى الرياح والأمطار والأرض والشمس والبرودة والحرارة وغيرها .

ومن أجل تهيئة اللباس نجد أننا بحاجة إلى أمور عديدة لصنع المواد الطبيعية والنباتية بالشكل المناسب ، وهذا الأمر بحاجة إلى أدوات ووسائل وهي بدورها مصنوعة من معادن وأخشاب وغير ذلك .

إضافة إلى كل ذلك ، ينبغي التـأمّل في العلّة الفـاعلية ، فلو لم يكن لهـذه الأدوات والآلات من يستخـدمها بـالشكل الصحيـح ، فإنه لا يمكن أن تعـطينـا النتيجة المطلوبة ، فلو أن الفلاح ترك الزراعة ، فلا يمكن أن نحصل على الغذاء من كل هذه الأسباب .

ولذلك يجب أن تتوفر المعرفة والهداية إلى العلّة الفاعلية أيضـاً وهذه أيضـاً من الله سبحانه وتعالى .

فيتضح بعد تأمل طفيف في هذه المجالات كيف أن الله تبارك وتعالى سـد نقائص الانسان واشبـع حاجـات الانسان بهـذه الأمور ، وكيف أنه جعلهـا على الوجه الأتم والأكمل بلطفه وعنايته .

لم يهمل حاجات الروح

وكما أن الله تبارك وتعالى لم يهمل ضرورات هذا الجسد بل خلق له كل ما يحتـاج إليه لبقـائه واستمـرار حيـاتـه فكـذلـك الـروح التي هي بمنـزلـة الـراكب والسلطان لهـذه المملكة الجسـدية لم يهملهـا الخالق بـل هيأ لهـا جميع الأسبـاب والأمـور التي تحتاجها في الحصول على السعادة الأبديَّة .

خلق في بـاطن الانسان عقـلاً يرشـده ويهديـه ويكون لـه بمنزلـة الرسـول الباطني ووظيفته تنبيهه من الغفلة ومنعه من الغرق في الماديات وتذكـيره بالـوقوف بين يدي الله عز وجل (الوقوف بـين يدي الله يـوم القيامـة للحساب والجـزاء) وحثـه على الإستعـداد وتهيئة المتـاع لهذا السفـر العظيم وأن يتعـرف أكثر عـلى ما يضرّه وينفعه .

الأنبياء والكتب السماوية

ثم أنه تعالى أرسل المبشرين والمنذرين للانسان ليرشدوه ويذكّروه بما يقول لـه عقله الباطني ، وأرسـل معهم الكتب السماويـة المشتملة إضـافـة إلى التشريـع عـلى

المواعظ والنصائح بحيث لو أن الجبال كانت تعقل وتدرك كـالانسان لتـزلزلت ، فإذا لم ينتبه الانسان وينتفع بهذه الآيات فلا أمل بصلاحه وخيره ، ويقول القرآن الكريم عن ذلك ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ (١) .

ومن أجـل أن لا يشـك أحـد في نبـوة الأنبيـاء (ع) بـل يؤمن بهم ويقتنـع بصدقهم ويستمع إلى أقوالهم وارشاداتهم ويتبعهم ارسل معهم المعجزة .

وبمـا أن الدين الإسـلامي آخر الأديـان ونبينا محمـد بن عبد الله صـلى الله عليه وآله أشرف الأنبياء وخاتمهم فإن دينه سيبقى إلى يوم القيامة . ولذلـك نجد أن معجزته باقية أيضاً وهي القرآن الكريم .

المعجزة الباقية للدين الباقي :

القرآن الكريم معجزة من جهات عديدة فبالدرجة الأولى من جهة فصاحة الألفاظ وبلاغة الأسلوب .

والأخرى من جهة الأخبار الغيبية عن المـاضين من الأنبيـاء وأممهم ، فمع أن محمداً (ص) لم يدرس في مدرسة أو عند استاذ إلا أنه جاء بهذا الكتاب وأخبر فيه عن قصص الماضين بشكل مطابق للواقع ، بحيث كان أهل الكتـاب (اليهود والنصـارى) يسألـون رسـول الله (ص) عن أخبـار المـاضـين فيخـبرهم بـذلـك ويجدونه مـطابقاً لما ورد في كتبهم السماويـة (طبقاً لـلأصـل الصحيـح لا بعـد التحريف) فيسلمون .

وهكـذا بـالنسبـة إلى الأخبـار الغيبيـة عن المستقبـل التي هي من معـاجـز القرآن .

نماذج من الأخبار الغيبية

منها : الإخبـار عن انقـطاع نسـل اعـداء رسـول الله (ص) وبقـاء وكثرة

(١) الأعراف / ١٨٥ .

نسله (ص) كما ذكر ذلك في سورة الكوثر ﴿**إنا اعطيناك الكوثر**﴾ وهو الخير الكثير الذي أحد مصاديقه كثرة النسل وانقطع بعدها نسل اعدائه ﴿**إن شانئك هو الأبتر**﴾ .

ومنها : ما ورد في سورة الفتح من الإخبار بفتح مكة ، وكذلك بالنسبة إلى سائر الفتوحات ومنها : الإخبار عن انتصار الروم بعد سنوات قلائل ﴿**غلبت الروم في ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين**﴾ (١) . ويخبر في معركة الأحزاب عن هزيمة جيوش المشركين ﴿**سيهزم الجمع ويولون الدّبر**﴾ (٢) . ويخبر في عدة موارد أخرى عن مؤامرات وأحاديث المنافقين والكفار كما ورد في سورة المنافقين ﴿**يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل**﴾ (٣) .

العلوم المختلفة والأحكام الضرورية

ومن جملة معاجز القرآن الكريم اشتماله على علوم الأولين والآخرين ، فمع أن مئات التفاسير كتبت للقرآن الكريم وكل مفسّر كتب ما يَسَعُهُ جهده وقابليته من ادراك الحقائق والعلوم ، إلا أنهم مع ذلك يعترفون بعجزهم عن إدراك حقيقته ومعارفه .

وكذلك احتواؤه على الأحكام المقدَّسة التي لو عمل بها الناس فسوف تنتظم أمورهم في الدنيا وتكون سبب نجاتهم في الآخرة ، والواقع أن هذه اقوى جهة من جهات إعجاز القرآن ، حيث لم يترك شيئاً من كليات الأحكام إلا وقد بيّنها ولا بأس بمراجعة الكتب الموسعة طبعاً للتعرف على ذلك .

---

(١) الروم /٢ ـ ٣ ـ ٤

(٢) القمر /٤٥

(٣) المنافقون /٨ .

الاعتقاد بالأئمة والتوسل بصاحب الزمان |ع|

ويجب الاعتقاد أيضاً بأوصياء الرسول (ص) عن علم ويقين وهم الامام علي بن أبي طالب والحسن بن علي والحسين بن علي وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

والأدلة على إمامتهم معروفة ومذكورة في الكتب التي تبحث في الإمامة وهذا الزمان هو زمان إمامة الوصي الثاني عشر الإمام المهدي (ع) الغائب والمختفي عن الأنظار .

وكما ورد في الحديث الشريف عن جده رسول الله (ص) عندما سئل هل ينتفع الشيعة بالقائم (ع) في غيبته؟ فقال (ص) : «أي والذي بعثني بالنبوة أنهم لينتفعون به ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب» [(١)] .

وسيظهر أخيراً ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً ولا يعلم زمان ظهوره إلا الله تعالى . وقد ورد الكلام في حالاته واسماء الأشخاص الذين تشرفوا برؤيته قبل الغيبة وبعدها بالتفصيل في المجلد الثالث عشر من البحار .

يجب على المؤمنين الاستنجاد بهذا الامام في جميع الأوقات والاستشفاع به عند الله ، وقراءة الدعاء المذكور في البحار وفي النجم الثاقب الذي أوله « اللهم عرفني نفسك . . . »[(٢)] .

---

(١) ميزان الحكمة . ١/٢٨٩ .

(٢) «اللهم عرفني نفسك فإنك ان لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك. اللهم عرفني نبيك فإنك ان لم تعرفني نبيك لم أعرف حجتك . اللهم عرفني حجتك فإنك ان لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني» .

العدل وضع الشيء في موضعه

العدل هو العمل عند كل حالة بما يناسبها كماً وكيفاً دون تجاوز الحد كما في اعطاء العامل اجرته بما يناسب عمله ونيته ، وكذلك من العدل تكليف العباد على قدر استطاعتهم .

فالله سبحانه وتعالى خلق العباد وكلّفهم بالتكاليف بمقدار استطاعتهم بل أقل من ذلك بكثير ، واعطاهم القدرة عليها وأتم الحجة عليهم بواسطة الأنبياء وعرّفهم طريق الجنّة وأخبرهم بيوم الحساب والجزاء وأنه سوف تجزى كل نفس بما كسبت ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾[1] .

انكار المعاد تكذيب لجميع الأديان والرسل

وأما المعاد فهو عبارة عن رجوع الأرواح إلى أبدانها يوم القيامة بعد انفصال طويل ، ويقال له المعاد الجسماني ، وهو من ضروريات الدين الاسلامي ومنكره كافر ، بل هو ثابت في جميع الأديان ، لأن كل نبي يبعث في الناس يدعوهم إلى عبادة الله والمعاد إليه فإنكار المعاد يعني تكذيب جميع الأنبياء والأديان .

وكذلك يجب الاعتقاد ببعض الأمور الواردة عن الرسول (ص) والأئمة وبعضها تعد من ضروريات الدين أو المذهب ، كالاعتقاد بسؤال منكر ونكير وعذاب القبر للاشرار وثواب البرزخ للأخيار ، وكتاب الأعمال ، والصراط ، والميزان والجنّة ونعيمها الذي لا يخطر على قلب بشر ، والاعتقاد بجهنم وعذابها الذي لا تقوم له السماوات والأرض .

سقي بذور الايمان بماء العبادة

وبعد زرع بذرة الايمان والاعتقاد بأصول الدين والمذهب الذي شرحناه

---

(١) الزلزلة /٧ ـ ٨ .

باختصار يجب أن يُسْقى كل ذلك بماء العبادة والأمل برحمة الله تعالى ، وكذلك يُنَمّى بنار الخوف والالتجاء بالساحة القدسية ، ويطهّر من أشواك الرذائل والمعاصي حتى يزداد ويكتمل يقينه يوماً بعد يوم ، ويشع نور الإيمان في قلبه وينتفع من ايمانه بصورة كاملة في ذلك اليوم ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ (١) .

لا حجاب أشد من هوى النفس

يجب التضرع إلى الله والتوسل بأهل البيت عليهم السلام ليرزقنا سبحانه اليقين لأنه هو منبع السعادة الأبدية ، ويمكن طلبه من الله تعالى بالتوسل إليه وبالأعمال الصالحة المصحوبة بالصدق والإخلاص لأن لا عدو أعدى من هوى النفس .

قال الصادق (ع) : ولا حجاب أظلم وأحسن بين العبد وبين الله تعالى من النفس والهوى وليس لقتلهما سلاح وآلة مثل الافتقار إلى الله سبحانه والخشوع والجوع والظمأ بالنهار والسهر بالليل (وذلك بالصوم نهاراً والصلاة ليلاً) .

ونذكر بعض الروايات الواردة في فضيلة الصلاة :

أفضل الأعمال بعد المعرفة : الصلاة .

ورد في الكافي والفقيه أن زيداً الشحام سأل أبا عبدالله صلوات الله عليه عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم وأحب ذلك إلى الله عزّ وجلّ ما هو ؟ فقال (ع) (٢) : «ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة ، الا ترى أن

---

(١) الحديد /١٢ .

(٢) الكافي : الفروع ، ٣/٢٦٤ .

العبد الصالح عيسى بن مريم (ع) قال : ﴿ **وأوصاني بالصلوة والزكاة ما دمت حياً** ﴾[1] .

اذن فبهذه الرواية نعرف أنه لا شيء أفضل من الصلاة بعد معرفة الله تعالى .

كثرة السجود تورد الجنّة

وورد في الكافي أن رجلاً مر بالنبي (ص) وهو يعالج بعض حجراته ، فقال :

«يا رسول الله ألا اكفيك ؟

فقال (ص) : شأنك .

فلما فرغ . قال له رسول الله (ص) : حاجتك قال : الجنة .

فأطرق رسول الله (ص) ثم قال : نعم .

فلما ولىّ قال له : يا عبدالله أعنّا بطول السجود» [2] . أي أنني سأدعو الله لك ولكن ينبغي عليك أن تعينني على هذا الطلب بكثرة السجود ، فيتضح أن كثرة السجود سبب في دخول الجنة ونجد هذه الفضيلة في الصلاة عدّة مرات حيث يوفّق الانسان لأن يضع جبهته على التراب تضرعاً لله تبارك وتعالى .

وكذلك ورد في وسائل الشيعة عن رسول الله (ص) أنه قال : « ما من صلاة يحضر وقتها إلا نادى ملك بين يدي الله (الناس) : « أيها الناس قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم »[3] .

---

(١) مريم /٣٢ .

(٢) فروع الكافي : ٢٦٦/٣ .

(٣) وسائل الشيعة : كتاب الصلاة ، أبواب المواقيت ، الباب ٣/ ح /٧ .

وحاصل هذا الخبر أن الصلاة سبب في مغفرة الذنوب واطفاء النيران المشتعلة بسبب الذنوب .

الصلاة الواجبة أفضل من الحج والصدقة

وروي في الكافي والفقيه عن الامام الصادق (ع) أنه قال : «صلاة فريضة خير من عشرين حجة ، وحجة خير من بيت مملوء ذهباً يتصدق منه حتى يفنى»[1] . وفي رواية أخرى عن الصادق (ع) أيضاً أنه قال : «صلاة فريضة تعدل عند الله ألف حجة وألف عمرة مقبولة » .

وقد يستغرب البعض من الغافلين عن شروط الصلاة الظاهرية والباطنية كيف أن صلاة واجبة أفضل من ألف حجة وألف عمرة مع أن الحج والعمرة أكثر مشقة وصعوبة . ولكن بعد الالتفات إلى شرائط صحة الصلاة وقبولها والتي سنذكرها في هذا الموجز يتضح أنها شاقّة وهي الجهاد الأكبر كما قال تعالى في القرآن الكريم : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين** ﴾[2] . وأكثر المفسرين يرجعون ضمير (إنها) إلى الصلاة ، أي أنها صعبة وشاقّة على غير الخاشعين وهم أهل اليقين الذين وصلوا إلى ما وعدهم الله تعالى ونالوا رحمته .

وبما أن هذا الكتاب رسالة مختصرة حول الصلاة لذا نكتفي بما ذكرناه حول فضيلة الصلاة .

مزيج من الدعاء والقرآن والتذلل والخشوع

يجب على الانسان العاقل الذي يريد تهيئة الزاد لآخرته ، وتحصيل القرب من الله عزّ وجلّ ذلك القرب الذي هو سعادة ما بعدها سعادة ، ان لا يغفل

---

(١) فروع الكافي : ٣/٢٦٥ ـ ٢٦٦ .
(٢) البقرة / ٤٥ .

عن الصلاة وهي ذلك المزيج الذي يشتمل على الدعاء والتضرع والابتهال والتذلل والخشوع والخضوع في حال القيام والركوع والسجود . ويجب أن يؤديها بكامل شرائطها الظاهرية والباطنية ويزيل موانع القبول عسى أن يتفضل عليه الله عز وجل ويأذن له بالدخول إلى ساحة كرمه مع أوليائه المقربين ويذوق حلاوة الذكر الذي هو ألذ من كل لذيذ بحيث لا يمكن أن توصف لذته (يدرك ولا يوصف) وينال بذلك السعادة العظمى .

الضرر الكبير للغافلين عن الصلاة

وكل من يغفل عن الصلاة فليتوقع الضرر الكبير ، فما أشد ما يظلم به نفسه بذلك حيث (يعض الظالم على يديه) من الحسرة والندم يوم القيامة .

أجل ، فيوم القيامة هو اليوم الذي تظهر فيه آثار غفلة الانسان عن الله واتباعه للشيطان وتنكشف للعاصين أحابيله ووساوسه ، ولكن ماذا ينفعهم ذلك يوم القيامة بعد أن أغواهم وأضلّهم في دار الدنيا ؟

المطلب الأول

الخاشعون

الخاشعون في الصلاة مفلحون

الكلام هنا في بيان الأدلة التي تشترط حضور القلب في الصلاة والتي تدل على ضرورة الخضوع والخشوع القلبي حال الصلاة . وكذلك يقع الكلام في فضيلة حضور القلب وشرط قبول الصلاة وما يستفاد من الأخبار والآيات في كيفية تأثير حضور القلب في الصلاة بل حكم العقل بذلك .

ومن الآيات الشريفة في هذا المورد قوله تعالى ﴿**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾ [1] . وهم الذين يخافون الله ويخضعون له .

اذن ، فالوارد في الآية الشريفة أن المؤمن انما يكون من أهل النجاة إذا كان خاشعاً في صلاته ومن الواضح أن الخشوع لا يمكن أن يتحقق من دون حضور القلب .

ويقول تعالى في آية أخرى : ﴿**وأقم الصلاة لذكري**﴾ [2] . ومن البديهي أن الغفلة ضد الذكر ، فالشخص الغافل في صلاته كيف يمكن أن يذكر الله تعالى في صلاته وكيف يمكن اطاعة هذا الأمر ﴿ **وأقم الصلاة لذكري** ﴾ .

وقد نهى الله تعالى عن الغفلة وصرّح بذلك ﴿**ولا تكن من**

(١) سورة المؤمنون الآية ٢٠١ .

(٢) سورة طه الآية ١٤

الغافلين﴾ (١) . أي الغافلين عن الذكر والدعاء .

سكارى الغفلة

وفي آية أخرى ينهى بصراحة عن الصلاة في صورة الغفلة والسكر ﴿**ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**﴾ (٢) .

ويقول في تفسير منهج الصادقين : إن هذا الخطاب عندالمحققين خطاب موجّه إلى القوى الروحية التي صار الايمان لها مشهوداً في عالم الروح بحيث لا تقترب من الصلاة في مسجد القلب ما دامت في حال سكر الغفلة وغياب الرغبة إلى أن تنتبه من غفلتها وسكرها وتعلم ما تقول وتعرف مع من تتكلم «المصلي يناجي ربه» ويشهد لذلك حديث : « لا صلاة إلا بحضور القلب » .

قبول الصلاة بمقدار حضور القلب

وقد روي عن رسول الله (ص) «كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ والجوع ، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا العناء »(٣) أي أنه لا فائدة روحية ومعنوية من صلاته لأنها لم تكن مصحوبة بحضور القلب .

ويقول (ص) ، في حديث آخر : «ان من الصلاة لما تقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها إلى العشر وأن منها لما تلفّ كما يلفّ الثوب الخلق يضرب بها وجه صاحبها ، وانما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك» (٤) .

وروي عن الامام الصادق (ع) انه قال :«والله إنه ليأتي على الرجل

(١) سورة الأعراف الآية ٢٠٥ .
(٢) النساء /٤٣ .
(٣) الوسائل : الباب ١٢ من أبواب مقدمة العبادات ، ح /٨ .
(٤) ميزان الحكمة ج ٥ ، ص ٣٩٢ .

خمسون سنة وما قبل الله منه صلاة واحدة فأي شيء أشد من هذا»[1] .

ويقول رسول الله (ص) : «المصلي يناجي ربّه» . ومن الواضح أن الكلام مع الغفلة لا يعد مناجاة .

المطلوب هو تقوى القلب لا خشوع الجسد

تأمل في هذه الآية الشريفة : ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾[2] . أي أن اللحم والدم في الأضاحي لا تصل إلى محل رضا الله تعالى ولكن يصل إليه وإلى محل رضاه تقواكم الذي يصاحب القربان وهو الذي يتقبّل منكم .

اذن فالمهم هو تقوى القلب ، والتقرب إلى الله تعالى بالاخلاص وهو الذي يؤدي إلى تعظيم أمر الله ، أي أن الذي يدفع بالانسان إلى تعظيم أمر الله تعالى واطاعته والتقرب إليه هو التقوى التي يُقبل ببركتها وفضلها كل عمل صالح .

ومن جملة الخيرات بل اصلها وعمودها الصلاة فإن لم تكن مصحوبة بتقوى القلب فسوف لا تؤثر ذلك الأثر المنشود ، اذن فالأمر في الصلاة هو حضور القلب لا مجرد الأفعال والأقوال .

وقد روي عن رسول الله (ص) : «ان الله لا ينظر إلى اجسامكم وانما ينظر إلى قلوبكم» . وبمراجعة الأخبار الواردة عن أهل البيت (ص) حول حضور القلب في الصلاة يتضح لنا يقيناً أن هذا المعنى لا يعتريه ريب ولا شبهة اطلاقاً .

---

(١) ميزان الحكمة ج ٥ ، ص ٣٨٧ ، ووسائل الشيعة : كتاب الصلاة ، الباب ٦ من أبواب أعداد الفرائض ح /٢ .

(٢) الحج /٣٧ .

الأنس بالدنيا

اذا تـأملت في حكمة تشـريـع الأحكـام والسر في وجـوب هـذه العبـادة الإلهية المهمة وهي الصلاة تتضح لك أهمية حضور القلب في ترتب النتائج الهامة للصلاة ولبيان هذه الحقيقة نقول بإيجاز :

بمـا أن روح الانسان نفخـة من روح الله ومن عالم القـرب والجوار الالهي إلى هذا القالب المادي والبدن الـدنيوي ، فقـد كانت في بـداية أمـرها وقبـل أن تستحكم فيها القوى البدنية تحن إلى ذلك العالم الروحي وتبكي لفراقـه وبعدهـا عنه إلا أن كل يوم يمضي عليها وهي في هذا البدن تعتاد أكثر على الأمور المـادية المتناسبة مع أحاسيسها ومشاعرها وطبعها ومزاجها وتأ بالأنس تـدريجياً بهـذا العالم الدنيوي وتتمتع بالملذات الدنيوية منذ الطفولة وحتى الكبر وتنسى بالتدريج ذلك العالم الروحي ولذّته الحقيقية .

ويستمر مثل هذا الأنس بالملذات الدنيوية ونسيان العالم اللامادي إلى سن البلوغ ولهذا نجد أن صغار الحيوانات تنمو وتتكـامل بسـرعة وتستقـل بنفسها في كسب قوتها والدفاع عن نفسها وتصل إلى حـدها الكـامل في زمـان قصير ، أمـا الـطفل الأنسي فإنه لا يصل بهـذه السـرعـة إلى كمـالـه الجسمي بـل يصـل إلى التكامل العقلي والرشد الفكري في الأربعين من العمر .

والسبب هو أن تعلق الانسان وانسه انما هو بعالم آخر غير هذا العالم المادي الذي هو غريب عنه .

حب الدنيا نتيجة الغفلة

وعلى أي حال فإن الانسان وان كان في بداية أمره غريباً عن هـذا العالم ، إلا أنه بالتدريج وبسبب زيادة مدركاته الحسية ولـذاته الجسميـة يصير من أهـل الدنيا ويملأ حبها الذي هو رأس كـل خطيئـة قلبه بحيث ينسى عـالمه الأصـلي ، ويغفل عن حقيقة بدايته ونهايته ، بل قد يصل به الحال إلى إنكار القيامة والحشر

والنشر والحساب ، ويتصور نفسه كسائر الحيوانات التي لا تدرك سوى لذاتها الجسدية وتفنى بفناء أبدانها كما قال الله تعالى على لسان هؤلاء الأشخاص : **﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾** (١) . ولذلك أرسل الله تعالى الرسل والأنبياء لإرشاد الناس وهدايتهم وافهامهم بأنّ مستقرهم الأصلي هو في عالم آخر ، وأن هذا العالم دار ممر ، والآخرة دار مقر وعليهم الاستعداد في هذا العالم للسفر الطويل إلى ذلك العالم .

حب الوطن من الايمان

فمن علائم الايمان النفور من هذا العالم والشوق إلى العالم الآخر الذي هو المستقر الأصلي كما قال (ص) : «حب الوطن من الايمان» (٢) .

فلو ترسخ حب الوطن وهو الآخرة في القلب لكان عين الإيمان وأما اذا انعكس الأمر وتعلق قلبه بهذه الدنيا فهو علامة ضعف الايمان كما قال تعالى في قصة «بلعم بن باعورا » : **﴿ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾** (٣) . بأن تعلق قلبه بهذه الدنيا .

الصلاة علاج الغفلة

كل ساعة من ساعات الليل أو النهار تمر على الانسان يزداد تعلقه بالدنيا وتزداد غفلته عن الآخرة عادة فيشتد الحجاب على القلب ويزداد صدأه ولذلك أرسل الله تعالى برحمته ولطفه دواءاً بواسطة رسوله الكريم يجلي صدأ القلب عند العمل به واستعماله فتشرق فيه أنوار الايمان والمعرفة ويشفى من كثير من الأمراض الروحية التي تصيب القلب عادة والتي من أهمها الغفلة ، وهذا الدواء هو الصلاة التي هي مركب من عده أفعال وأقوال وشروط ظاهرية وباطنية سوف

---

(١) الجاثية / ٢٤ .

(٢) سفينة البحار المجلد ٢ ص ٦٦٨

(٣) الأعراف / ١٧٦ .

نشرحها إن شاء الله بالتفصيل، ومن البديهي أن النتيجة المهمة من الصلاة لا تحصل بدون حضور القلب عند تلك الأفعال والأقوال .

حيلة الشيطان في الصلاة

ومن جهة وساوس الشيطان وخدعه التي يلقيها في فكر المصلين هو أن حضور القلب غير واجب في الصلاة ولم يفت الفقهاءالذين نقلّدهم بوجوبه ولذلك لا نسعى لتحصيله ولا نهتم لذلك ، في حين أنه يجب الالتفات إلى أن العلماء والفقهاء ذكروا للصلاة نوعين من الشروط :

النوع الأول : الشروط التي تعتبر في صحة الصلاة ، أي عند حصول هذه الشروط لا يجب اعادة الصلاة في الوقت أو قضاؤها خارج الوقت وهو يعبّر عنه بالإجزاء وبدون حصول هذه الشروط تبطل الصلاة وتوجب العقاب هذا اضافة إلى الفروع الأخرى المذكورة في كتب الأحكام من قبيل الطهارة من الحدث والخبث .

النوع الثاني : من الشروط هي تلك التي لها دخالة في قبول الصلاة وكمالها ، لتكون ذخيرة للآخرة من قبيل حضور القلب الذي لا تكون الصلاة بدونه نافعة مهما كانت صحيحة ، ولا يحصل المصلي على الثواب العظيم وينال درجة القرب ومقام المقربين دون حضور القلب في الصلاة .

وهنا قد يسأل سائل : إذا كان لحضور القلب كل هذه الأهمية فلماذا لم يعتبر ضمن شروط صحة الصلاة ليلزم المصلون بمراعاته ؟

رفع العسر والحرج

والجواب عن ذلك : أن حضور القلب لو كان واجباً في جميع حالات الصلاة الواجبة وكان من شروط صحة الصلاة للزم العسر والحرج لأكثر الناس والواقع أنه أمر شاق لا يتيسر لكل أحد فيكون تكليفاً فوق طاقتهم .

وأما من كان طالباً للسعادة والكمال واقعاً فيجب عليه أن يقوي عزيمته وهمته بالسعي في الحصول على فوائد الصلاة ، فلكل انسان استعداد وقابلية على تحصيل الكمال فيجب السعي للاستفادة من هذه القابلية واخراجها من القوة إلى الفعل كما يصطلح عليه .

وإن لم تستطع الاتيان بجميع الصلاة مع حضور القلب ، فلا أقل من عدم الاتيان بها جميعاً مع الغفلة التامة ، فلا ينبغي للانسان أن يحرم نفسه من الفيض الآلهي تماماً ، ولا ينبغي له أن يفتح لليأس طريقاً إلى قلبه بأن يعلم بأن لحضور القلب مراتب عديدة ، فعندما يوطن نفسه ويقصد احضار قلبه في الصلاة فإن الله تبارك وتعالى سوف يوفقه ويعينه بحيث يزداد حضور قلبه في الصلاة القادمة كما ورد ذلك في الحديث القدسي الشريف : «من تقرّب إليَّ شبراً تقرّبت إليه ذراعاً» .

المطلب الثاني

في بيان المراد من حضور القلب في العبادات وكيفية تحصيله .

القلب والروح

تطلق كلمة القلب تارة على تلك القطعة من اللحم الواقعة إلى يسار الصدر بشكل صنوبري وبواسطة حركاته وضرباته يتدفق منه الدم الذي يولّده الكبد ويصفيه جهاز التنفس ويتصاعد منه بخار لطيف فيجري إلى الدماغ وجميع اعضاء الجسم وبواسطته يتم الحس والحركة في البدن ويسميه الحكماء بالروح الحيوانية .

والثاني : عبارة عن ذلك المخلوق الابداعي والنفحة الربانية التي ليست من سنخ موجودات هذا العالم ، بل عالم الأمر المجرد عن المادة والمتعلق بهذا البدن ، والانسان في الحقيقة هو هذا المخلوق وهو المدرك والمخاطب والمكلف .

معرفة النفس مقدمة لمعرفة الرب

من المحال معرفة الروح وحقيقتها لأهل هذا العالم المادّي المحجوبين بحجب الظلام الماديّة وإنما يمكن ادراك آثار قدرتها وتصرفها في البدن فقط فيعلم من ذلك وجودها .

وهكذا الأمر بالنسبة إلى معرفتهم الحسية لخالق هذا العالم ، فإنها لا

تحصل لأهل الدنيا وانما يمكن العلم بوجوده سبحانه من خلال آثار قدرته في هذا العالم .

إنما يستطيع الانسان التعرّف على الروح والحصول على السعادة اذا سعى لإصلاح نفسه وتربيتها وانقاذها من الصفة الامّارية بالسوء وإيصالها إلى الصفة المطمئنة ، فكمال الانسان يكمن في تطهير النفس وعدم ايقاع الأهواء والشهوات ، وبذلك أي ببركة تربية النفس وتزكيتها يتمكن من تحصيل العلم بالتدريج وبواسطة معرفة النفس يتوصل إلى معرفة الله تعالى (من عرف نفسه فقد عرف ربّه) (١) .

وباختصار : بما أن النفس الناطقة الانسانية هي «من عالم الأمر» ومجردة ونورانية فيجب تطهيرها لتتيسر المعرفة فما لم تحصل السنخية بين المدرك (بالفتح) والمدرِك (بالكسر) أي تكون كالنفس المجردة النورانية لا يمكن له معرفة نفسه .

القلب بمعنى المتقلّب بين العقل والنفس .

وهناك معنى آخر للقلب لغة فهو مشتق من التقلّب لأنه متقلب بين العقل والطبع ، بمعنى أنه تارة يطيع عقل الانسان ، وأخرى يطيع النفس والطبع حتى يغلب أحدهما في النهاية . فعندما يغلب العقل ويحكم مملكة الانسان يصير الانسان سعيداً ويرتقي في مدارج الكمال إلى مصاف الملائكة وأكثر ، وان غلب عليه الطبع والنفس فله جهات مختلفة ففي صورة غلبة الشهوة يكون كالبهائم أو أكثر انحطاطاً، وإن غلب عليه الغضب يصير كالوحوش في طبعه ، وان غلب عليه الطبع من حيث المكر والحيلة والخداع فسوف يصير كالشياطين ، وتظهر هذه الحالات والصفات بعد انفصال الروح عن البدن خصوصاً يوم القيامة حيث يحشر الناس على صورهم الباطنية ويعبّر القرآن الكريم عن ذلك اليوم

---

(١) نهج البلاغة : الكمات القصار ، الكلمة رقم / ٣٣٩ .

بـ : ﴿يوم تبلى السرائر﴾[1] والتوسع في هـذه المسألـة خارج عن مـوضوع هـذا الكتاب .

اذن يتضح أن المراد من القلب هو النفس الناطقـة الانسانيـة ، والمراد من حضوره في الصلاة هـو أن يكون مشغـولاً وملتفتاً إلى حـال الصلاة ومتـوجهاً إلى الله في أفعاله وأقواله وغيرها ومفرغاً فكره عمّا سوى الحق .

طريق الحصول على حضور القلب

أما الحصول على حضور القلب في الصلاة ، فيتوقف على تحصيل المقتضى ورفع المانع ، بمعنى أنه ينبغي تهيئـة الأمور المـوجبة لحضـور القلب ورفع وإزالـة الأمور والعقبات التي تؤدي إلى الغفلة .

فأما بالنسبة إلى المقتضي فيجب أولاً أن تكون الصلاة في نـظر المصلي أهـم من كـل شيء فلو كان هنـاك شيء أهم من الصلاة في نـظره فـالنفس الانسـانيـة بطبعها سوف تتوجه إليه وهذا يمنع من حضور القلب في حال الصلاة .

فـما لم يعتقد المصـلي ـ اذن ـ بأن الصـلاة أهم من جميع الأمـور فلا يتـوقع تحصيـل حضور القلب ، ولا يمكنه ادراك أهميـة الصلاة إلا بعـد أن يعتقد بفنـاء الدنيا وزوال نعيمها المادي ويتيقن من بقاء الآخرة ودوامها ، ثم يعلم بأن الصـلاة هي أفضل وسيلة للحصول على ذلك الثواب والنعيم الدائم وإنها «إن قبلت قبل ما سواها وان ردَّت ردّ ما سواها » كما ورد في الحديث .

ومن هنا تتفاوت حالات الأشخاص بالنسبة إلى حضـور القلب في الصلاة ولهذا فإن درجاتهم تختلف أيضاً بمقدار أيمانهم بالدنيا والآخرة .

وأصل المسألة أن محبّة الضدين مستحيلة و ﴿ ما جعل الله لرجـل من قلبين

---

(١) الطارق / ٩ .

في جوفه﴾[1] أي أنه أما أن يكون محباً للدنيا ومتعلقاً بها أو بالآخرة . وكلما اقترب من واحدة أكثر ابتعد عن الأخرى بمقدار تلك المسافة نفسها .

المحب للدنيا لا يلتذ بالعبادة

يقول عيسى بن مريم (ع) : «بحق أقول لكم كما ينظر المريض إلى طيّب الطعام فلا يلتذه مع ما يجده من شدّة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها مع ما يجد من حب المال ، بحق أقول لكم إن العبد لا يقدر على أن يخدم ربّين ولا محالة أنه يؤثر أحدهما على الآخر وان جهد ، كذلك لا يجتمع لكم حب الله وحب الدنيا» .

وليعلم بأن الهدف من ذم الدنيا هو حبّها والتعلق بها وبماديّاتها حيث يكون نتيجة ذلك أن يغفل عن الآخرة ونعيمها ، فكم من المعدمين والفقراء الذين امتلأت قلوبهم بحب الدنيا ، وكم من الأغنياء الذين لا يحبّون الدنيا بل جعلوها مقدّمة وطريقاً إلى الآخرة ، وسنشير في الخاتمة إلى هذا المعنى أيضاً .

كيف نتخلص من حب الدنيا ؟

ماذا نفعل للتخلص من حب الدنيا والغفلة عن الله تعالى ؟ قد يكون الجواب واضحاً ومعروفاً ، إلا أن العمل به مشكل ، فأوّل خطوة في سبيل ذلك هو تذكر الموت والتقليل من الآمال الدنيوية وان نفكّر كثيراً بزوال الدنيا وانحطاطها وأن نعتبر بحالات الماضين وغفلتهم عن الموت ثم لم تتحقق آمالهم وأمانيهم ، وكيف أنهم عملوا ليعيشوا في هذه الدنيا أياماً معدودات وبنوا من القصور والرياض والبساتين ثم خلفوها وراءهم بعد أن طواهم الموت . ولو أن الإنسان اهتم بآخرته واحداً بالمائة من اهتمامه بالدنيا بأن عمل لها ، وهيأ المتاع لسفره الأخروي لوصل إلى مقامات شامخة ، ودرجات سامية .

---

(١) الأحزاب / ٤ .

وقد اتضح مما ذكرنا أن عدم تحقق حضور القلب في الصلاة انما يكون بسبب الغفلة عن الآخرة وعدم الاهتمام بتهيئة وسائل النجاة من أهوالها .

اذا انهدمت غرفة في بيت أي واحد منّا، أو كانت الغرفة التي نجلس فيها مفتقرة إلى الفراش فسوف لا يهدأ لنا بال حتى نزيل هذا النقص ونوجّه كل اهتماماتنا لسدّه ، وأما بالنسبة للآخرة فنحن نتهاون ونتقاعس بشكل غريب كما لو أننا نشك فيها ونغتر بعفو الله وكرمه ، وكأننا لم نقرأ القرآن الكريم ولم ندرك ما يقول حيث يصرّح : **﴿وأن ليس للانسان إلا ما سعى وان سعيه سوف يرى﴾** (١) .

ونكتفي بهذا المقدار للاختصار .

ارشادات لتحصيل حضور القلب

اذا كنت طالباً للآخرة فأكثر من قراءة القرآن وداوم عليها كما أمر بذلك القرآن الكريم نفسه : **﴿فاقرؤا ما تيسر من القرآن﴾** (٢) ولا تقصّر في تدبّر آياته ولا تغفل عن الموت وأهواله ، ولا تترك زيارة القبور ، والاستماع للمواعظ ، وكذلك مطالعة كتب الموعظة والاخلاق .

إذن فقد اتضح أن مقتضى حضور القلب في الصلاة هو إعطاء الأهمية للصلاة لدى المصلي ، ونشير إلى بعض موانع حضور القلب .

المواظبة على النظرة والسمع حال الصلاة

أما موانع حضور القلب فهي عبارة عن الخواطر التي ترد عليه ، ولا بد للتخلص منها من ازالة أسبابها وهي إما خارجية أو داخلية .

فالموانع الخارجية تنشأ في الغالب من طريق الحواس الخمس وأهمها العين والأذن .

---

(١) النجم / ٤٠ ـ ٤١ .

(٢) المزمل / ٢٠ .

والقلب بمنزلة الحوض الذي تصب فيه جداول الحواس الخمس ، فالمعاني والخواطر ترد على القلب بواسطتها، وقد ترد عدّة صور وخواطر على القلب من رؤية صورة أو سماع صوت .

ورفع هذا النوع من المانع يكون بواسطة السيطرة على العين وعدم النظر إلى أية جهة حوله بل ينظر حال القيام إلى محل السجود ، وفي حال الركوع ينظر إلى ما بين قدميه وفي حال السجود إلى طرف أنفه ، وفي حال التشهد إلى حجره ، وأن لا يصلي في مكان يكثر فيه تردد الآخرين أو تكثر فيه النقوش والصور ، وبصورة عامّة يمتنع عن الاشتغال بكل ما يلفت النظر .

ولو فرض ان إغماض عينيه هو أدعى لحضور قلبه فليفعل ذلك وإن كان مكروهاً ، إلا أنه في صورة كونه نافعاً لحضور القلب يكون مقدّماً، وقد كان بعض الصالحين يصلي في أماكن مظلمة تقريباً وضيقة من أجل الهرب من هذه الموانع الخارجية .

الموانع الداخلية اشد من الخارجية

الأسباب الباطنية والموانع الداخلية لحضور القلب دائماً تكون أكثر تأثيراً من الموانع الخارجية لأن من تلوّث بالماديّات وزادت همومه الدنيوية فسوف لا يهدأ باله ويصفو فكره بل يكون متوجهاً في كل لحظة إلى مجموعة من الأوهام فيكون تحصيل حضور القلب لمثل هذا الشخص الغارق في الموانع الباطنية متعذراً أو متعسراً ولكن مع ذلك فهو ليس بمحال ولذا يجب السعي إليه من طرقه الخاصة ، ففي البداية يجب عليه أن يدرك معاني الأفعال والأقوال الواردة في الصلاة بالتفصيل ويفرغ قلبه حال الصلاة من الهموم الدنيوية مهما أمكنه ذلك ، بأن يتذكّر صعوبة الموت وأهوال النزع وخروج الروح ، ويتذكر القيامة وأهوالها خصوصاً موقف الميزان وعدم قبول الصلاة الذي يعني عدم قبول جميع الأعمال فيسعى لسدّ نواقصه وتحصيل حالة الحضور اثناء الصلاة .

وبعد أن يرق قلبه لذلك ، وقد يجري دمعه أحياناً بسبب تذكّر الشدائد والأهوال الآتية فسيكون مستعداً للدخول في الصلاة .

ترك ما سوى الله

يقول أمير المؤمنين (ع) « إن من أحب عباد الله إليه عبداً تخلّى من الهموم إلا هماً واحداً انفرد به »[1] . أي لا يكون له هم وحزن سوى ما كان لأمور الآخرة .

فإن كانت مشاغله الدنيوية بالدرجة التي لا تتركه حال الصلاة مع ما ذكرنا . فإن كان صادقاً في طلب الآخرة وجب عليه أولاً أن يزيل سبب الغفلة ويدرك أن كل شيء يجعله غافلاً عن الله فهو عدوّه وعدوّ دينه ومن جنود الشيطان ، ويسعى لإزالة حبّه من قلبه ويتّجه بقلبه إلى الله ، ويعادي كل شيء يؤثر على معنوياته ويضعفها ويحب كل شيء يقربه من الله أكثر .

بستان أبي طلحة صدقة بسبب الغفلة .

روي أن أبا طلحة كان يصلي يوماً في بستان له وفي اثناء الصلاة وقع بصره على طائر على الشجرة ويريد الخروج من وسطها ، فلفت ذلك الطائر انتباهه بحيث لم يعلم كم صلّى من الركعات .

فجاء إلى رسول الله (ص) وشرح له حاله وقال : «لقد تصدّقت بهذا البستان» وجعل أمره بيد رسول الله (ص) يصرفه كيف شاء .

فانظر كيف جاهد نفسه وخالف الشيطان حيث ترك ذلك البستان الذي كان سبباً في غفلته حال الصلاة ؟

فيجب على أولئك الذين وقعوا في أشراك الدنيا وتعلّقوا بها العمل بما سنذكره في ختام هذا الموضوع بشكل مختصر .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة /٨٧ .

العون من الله تعالى .

يجب على كل شخص أن يسعى بمقدار جهده لإزالة الموانع الظاهرية والباطنية لحضور القلب ، فلو جعل همّه في تحصيل ذلك فإن الله تعالى سوف يعينه ويوفقه ويفتح له أبواب رحمته كما صرّح بذلك في القرآن الكريم ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين** ﴾[1] .

---

(١) العنكبوت / ٦٩ .

المطلب الثالث

في بيان معاني أفعال وأقوال الصلاة ومقدماتها بشكل مختصر :

تحصيل الطهارة الظاهرية والباطنية

أولى مقدمات الصلاة الواجبة هي تحصيل الطهارة ، وطبقاً للرواية المشهورة «لا صلاة إلا بطهور» [1] فإن الصلاة لا تقع إلا بعد تحصيل الطهارة ، ولا تحصل حقيقة الصلاة التي هي المناجاة مع رب العالمين كما ورد ذلك (المصلي يناجي ربّه) وكذلك هي عروج إلى العالم القدسي «الصرة معراج كل مؤمن تقي» وهي : «قربان كل تقي» [2] ولا يحصل ذلك إلا بعد أن تحصل السنخية مع ذلك العالم «السنخية علة الانضمام» ، ويذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة ﴿الطيبات للطيبين﴾ [3] .

اذن فيجب تحصيل الطهارة من الحدث والخبث ظاهره وباطنه فيرفع الحدث بواسطة الوضوء أو الغسل أو التيمم، ويزيل الخبث عن البدن والثوب بواسطة الماء ، وأحكام هذه الطهارات سواءاً كانت من الحدث أو الخبث مذكورة في كتب الأحكام والرسائل العملية التي تعلمونها عادة .

---

(١) وسائل الشيعة . الباب ٦ من أبواب الوضوء ح /١.

(٢) ن .م : الباب ١٢ من أبواب اعداد الفرائض ونوافلها ح /١ و٢، وجواهر الكلام للنجفي ٣/٧ .

(٣) النور /٢٦ .

والشيء المهم الذي غفل عنه أكثر الناس هو الآثام والأحداث الباطنية والتي هو أشد ضرراً من النجاسات الظاهرية أضعافاً مضاعفة وتطهيرها أكثر أهمية ووجوباً كما أشرنا إلى الحديث الشريف عن رسول الله (ص) : «ان الله لا ينظر إلى أجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم» .

الذنوب القلبية أكثر ضرراً .

وبما أن الماديّات هي الغالبة على أكثر الناس فلذلك كانت الذنوب الماديّة كالسرقة والغصب والقتل وأمثالها تعد من الكبائر عندهم ومرتكبها فاسق ، ولكن الذنوب التي ترتبط بالقلب كالحسد والكبر والعجب والجهل وحب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة فهي غير مهمّة عندهم ولا يلتفتون اليها بل ويعتبرون الأشخاص الذين يتصفون بهذه الصفات من الأخيار والصلحاء مع انهم أفسق الفسّاق .

وبما أن أكثر الناس يهتمون بالظاهر ويكتفون به فلذلك غفلوا عن تطهير الباطن من النجاسات والأوساخ الروحية وكان من نتيجة ذلك عدم انتفاعهم بفوائد الصلاة كما هو المفروض .

ولذلك نشير هنا بشكل موجز إلى أساس النجاسات الباطنية .

تشبيه الخباثات الباطنية بالنجاسات الظاهرية

أصول الخباثات الباطنية خمسة أمور :

الأول : الكبر والتفاخر والهوى وهي بمنزلة الكلب والخنزير والكافر، والمطهر لهذا النوع من النجاسات اضافة إلى الاغتسال بماء التوبة والاستغفار هو التواضع لعباد الله والتذلل والتضرع بين يدي الله تعالى ومقت النفس لاكتساب رضا الله كما هو مضمون الحديث الشريف : (جعلت رضاي في سخط النفس) .

الثاني : من الخباثات الباطنية الحقد والحسد والعداوة التي هي بمنزلة الميتة في النجاسات الظاهرية والمطهر لها تقوية الايمان واليقين بالله تعالى بأن يعتقد اعتقاداً جازماً بأنه لا ضار ولا نافع إلا الله ، وانه لا ارادة فوق ارادة الله . **﴿إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يُرِدْكَ بخير فلا راد لفضله﴾**[1] .

الثالث : من الخباثات الباطنية الظلم الذي هو بمنزلة الدم في النجاسات الظاهرية ومطهره هو الخوف من العذاب الالهي الذي اعدّه للظالمين وذكره في القرآن الكريم .

الرابع : اتباع الشهوات الذي هو بمنزلة البول والغائط في النجاسات الظاهرية وهو كما قال رسول الله (ص) : (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه) .

ومطهره هو الجوع ، والتفكر في فناء اللذات الدنيوية ، وأول مراتبه هو أن لا يأكل شيئاً حتى يجوع ويقوم عن الطعام وهو يشتهيه ، وكذلك يسعى لإصلاح نيته في الأكل والشرب وهو أن لا يأكل ويشرب لغرض اللذات المادية بل بنية تقوية البدن للعبادات وخدمة الأهل والسعي في حاجات المؤمنين والاتيان بالواجبات الالهية .

حب الدنيا كالخمر

الخامس : من الخباثات الباطنية هو حب الدنيا والغفلة عن ذكر الله تعالى **﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ﴾**[2] .

الرائحة العفنة لقذارة حب الدنيا اشد من جميع النجاسات وأكثر قيحاً وبشاعة فهي كالخمر في النجاسات الظاهرية ، فكما أن الخمر يسكر الانسان ويفقده عقله فكذلك من سكر بحب الدنيا فإنه يسقط من مستوى الانسان ،

---

(١) الأنعام /١٧ .

(٢) البقرة / ٢٠٠ .

فحب الدنيا حقيقة رأس كل خطيئة[1] .

والمطهر من مرض حب الدنيا هو ذكر الموت والقيامة ولقاء الله والتقليل من الطموحات والأماني والتفكر في زوال الدنيا وتقلبها .

رائحة حب الدنيا العفنة تظهر وتؤثر بعد الموت . ولكن أولياء الله يشاهدون ذلك في هذه الدنيا وقد ورد في الحديث عن الصادق (ع) : «مثل الدنيا كمثل ماء البحر ، كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله» [2] .

ولأجل الاختصار نكتفي بما ذكر دون التعرض للأدلة على هذه النجاسات الباطنية الواردة في الآيات الروايات ، وعلى كل حال يجب أن نعلم أن أهم الأمور إزالة هذه الموانع والعقبات والعراقيل مقدار جهده واستطاعته . أي على كل فرد أن يسعى بكل طاقته للتخلص من هذه الخباثات القلبية والباطنية وإقصائها عنه كما يطهّر بدنه من النجاسات الظاهريّة .

ستر العيوب الباطنية

ومن جملة مقدمات الصلاة ستر البدن (كما هو مذكور في الرسائل العملية) ووجوب كون اللباس طاهراً وعدم كونه مغصوباً . فنقول : اذا كان ستر العورة الظاهرية واجباً فلا بد وأن يكون ستر العورات الباطنية التي هي عبارة عن الأمراض والرذائل الخلقية أوجب وهو التقوى من المحرمات والذنوب ﴿ولباس **التقوى ذلك خير**﴾[3] .

فيجب على المصلي أن يعلم أن رذائله وأوساخه الباطنية لا يسترها إلا الندم والحياء والخوف من الله ثم يقف بين يدي ربّه كالعبد الآبق عندما يرجع

(١) اصول الكافي : ٢/٣١٧
(٢) اصول الكافي : ٢/١٣٦ .
(٣) الأعراف / ٢٦ .

إلى مولاه ويمثل بين يديه بعد أن يعلم أن لا ملجأ ولا مهرب منه إلا اليه ولذلك يرجع وهو مطأطىء الرأس خجلاً وخوفاً .

ومن البديهي أن المطأطىء رأسه في هذا اليوم سيكون غداً مرفوع الرأس ويكون آمناً يوم القيامة حيث يقول تبارك وتعالى في كتابه الكريم **﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ﴾**(١) .

أفضل الأعمال في أفضل الأمكنة

الصلاةجائزة في كل مكان وصحيحة وكما ورد في الحديث النبوي الشريف : (جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً) (٢) إلا أن الأفضل والأكمل هو اتيان هذا العمل الشريف في أقدس الأمكنة وهي المساجد والمشاهد المشرّفة .

وقد روي عن الأمام الصادق(ع): (اذا بلغت باب المسجد فاعلم أنك قصدت ملكاً عظيماً لا يطأ بساطه إلا المطهرون) (٣) .

ومما جاء في بقية الحديث (واعلم أنه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك ، فإن عطف عليك بفضله ورحمته قبل منك يسير الطاعة وأجزل عليها ثواباً كثيراً ، وان طالبك باستحقاق الصدق والاخلاص عدلاً بك ورد طاعتك وان كثرت وهو فعال لما يريد . واعترف بعجزك وتقصيرك وفقرك بين يديه . . . واذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء إليه نظر إليك بعين الرأفة والرحمة والعطف ووفقك لما يحب ويرضى فإنه كريم يحب الكرامة لعباده المضطرين اليه المحدقين على بابه لطلب مرضاته ، قال الله تعالى **﴿أمّن يجيب المضطر اذا دعاه﴾** فعندما يصل المصلي إلى باب المسجد يجب أن تكون يده خالية

---

(١) السجدة /١٢ .

(٢) وسائل الشيعة : أبواب مكان المصلي ، الباب ١ ح/٢

(٣) ميزان الحكمة ج ٤ ، ص ٣٩٦ .

من الماديات ويكون رجاؤه وأمله متعلقاً برحمة الله الواسعة فقط ولسان حاله يقول (أأدخل يا الله) .

وقت الصلاة هو وقت الحضور والتشرف

ومن جملة المقدمات الأخرى للصلاة هو الوقت فبعد دخول الوقت ينبغي أن يفكر جيداً بأن هذا الوقت هو وقت اظهار العبودية والوصول إلى درجات المقربين بواسطة العبادة والطاعة وبهذا يتهيأ بكل شوق ولهفة لتحصيل ذلك وهو في حالة الخوف من الأوساخ الباطنية والنجاسات المعنوية التي سبق أن أشرنا إلى بعضها ، وهذا الخوف هو حالة الأخيار والصالحين كما أن عدم المبالاة والغفلة عن الأوساخ النفسية هي من علامات الشقاوة والبعد عن رحمة الله .

التذكر عند الوضوء والأذان

وقد ذكر في أحوال الامام الرابع علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام أنه عندما كان يتوضأ يتغير لونه ويصفرّ خوفاً من الله عزّ وجلّ ، فلما سألوه عن سبب ذلك قال (ع) : أو تدرون بين يدي من سأقف ؟

وعندما تسمع صوت المؤذّن يجب أن تتذكر هول نداء القيامة لحضور المحشر ﴿**يوم ينادي المنادِ من مكان قريب**﴾ (١) .

إذا أحسست بالفرح يغمر قلبك عند سماع صوت المؤذن الذي يذكر الناس بالله تعالى فسوف تأتيك البشارة بالفلاح يوم القيامة .

يجب أن تترك كُل شيء وتفرغ قلبك من أجل استماع الآذان وتتابع مع المؤذن فصوله وأذكاره وتكررها في نفسك .

عندما تسمع كلمات «الله أكبر» تذكر عظمة الله تعالى وحقارة غيره

---

(١) ق /٤١ .

خصوصاً في عالم الدنيا حتى تكون صادقاً في تكبيرك وعندما تسمع التهليل فأَخْلِ ذهنك من كُلِ معبودٍ سواه ، وعندما تسمع اسم محمد خاتم الأنبياء (ص) فتذكر جلالة وعظمة هذا الرسول الكريم وصلِّ عليه وعلى آله .

وعندما تسمع الحيعلات فتهيأ لأداء الصلاة التي هي سبب الفلاح والنجاح مع التوكل على الله وتوفيقه لأداء حق هذه الفريضة . إذاً فعندما تسمع المؤذن يقول « حي على الصلاة ـ حي على الفلاح ـ حي على خير العمل » فقل لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم حتى يعينك على أداء حق الصلاة .

الاستقبال توجه إلى الله

الاستقبال شرط آخر للصلاة ، ويعني التوجه إلى القبلة وكما أن الوجه يجب أن يكون باتجاه الكعبة فكذلك القلب يجب أن يكون متوجهاً إلى الله تعالى وهذا هو الهدف من خضوع الجوارح وضبط حركات البدن . وكما ينبغي أن يركز المصلي نظره إلى نقطة واحدة فكذلك ينبغي أن يتوجه بقلبه إلى الله عز وجل فقط وإلا فسوف يحرم من تحصيل المقامات العالية للمصلي . لقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله (ص) انه قال : «أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار» (١) .

الالتفات إلى اليمين والشمال يدل على عدم حضور القلب ، وكما أن الحمار محروم من المقامات العالية للمصلي فكذلك مثل هذا الانسان .

الامام الصادق (ع) يقول : «إذا استقبلت القبلة فانس الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه واستفرغ قلبك عن كل شاغل يشغلك عن الله وعاين بسرك عظمة الله واذكر وقوفك بين يديه يوم تبلو كل نفس ما أسلفت» (٢) .

---

(١) ميزان الحكمة ، ج ٥ ، ص ٤٠٦ .
(٢) ميزان الحكمة ج ٥ ، ص ٣٩٦ .

لله الفضل على اذنه لعباده

وبعد تحصيل مقدمات الصلاة بالكيفية المذكورة يشرع بالاتيان بأفعال الصلاة التي أولها القيام ويجب أن يتذكر المصلي أنه يقف بين يدي سلطان عظيم مطلع على سريرته وأعمال جوارحه فلا بد أن يقف وقوف العبد الذليل أمام مولاه خاضعاً خاشعاً .

وكلما خشع القلب خشعت الجوارح فلا ينظر إلى شيء سوى محل سجوده ويضع كفيه على فخذيه ويتذكر الآية الشريفة ﴿**الذي يراك حين تقوم وتقلُّبك في الساجدين**﴾ (١) . وفي نفس الوقت يقصد بعمله هذا اداء الوظيفة والتقرب إلى ربه واطاعة أمره ويتذكر أن الله تعالى له الفضل والمنّة عليه ان أذن له بعبادته ومناجاته برغم كل ما قد يكون قد صدر عنه من ذنوب ومعاصي .

يجب أن يفكر من يناجي ؟! فمن الجدير به أن يتصبب جبينه عرقاً من شدة الخجل وترتعد فرائصه .

وقبل الشروع بالتكبير يقرأ الدعاء الوارد (*) ثم يكبر استحباباً ويقرأ الدعاء الآخر الوارد أيضاً (**) وبعد ذلك يكبر ثلاث تكبيرات مستحبة مع قراءة دعاء التوجه (***) .

---

(١) الشعراء / ٢١٨ ـ ٢١٩ .

(*) اللهم اليك توجهت ومرضاتك ابتغيت وبك آمنت وعليك توكلت صل على محمد وآل محمد وافتح قلبي لذكرك وثبتني على دينك ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك أنت الوهاب .

(**) اللهم انت الملك الحق لا إله إلا أنت سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

(***) وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين . إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين .

التوجه إلى عظمة الحق قبل التكبير

ينبغي على المصلي أن يخطر في قلبه قبل أن يكبّر تكبيرة الإحرام ، ويتـذكر عظمة الخالق وأنه ما من موجـود إلا وهو محتـاج إلى الله عز وجـل حدوثاً وبقاءاً، وانه محتاج في أصل وجوده واستمراريته إلى الله تعالى ، وكـل قدرة في مقـابل القـدرة الالهيـة مغلوبة، وأنـه يستحيـل ادراك حقيقتـه عـلى كـل صـاحب عقـل وادراك وشعور .

ثم بعـدَ ذلـك يكبّـر تكبيـرة الإحـرام ـ الله أكبـر ـ يعني الله أكبـــر من أن يـوصف ، وكيف يتسنّى ذلك وهنـاك الكثير من مخلوقـاته التي يتحـير الإنسان في إدراك ذاتها وأفعالها ، فالحيرة في خالقها بطريق أولى .

لقد ورد في إحدى خـطب نهج البلاغـة في وصف أمير المؤمنين (ع) لملك الموت انه قال :

«هل تحس به اذا دخل منزلاً ، أم هـل تراه إذا تـوفّى أحداً ، كيف يصف إلهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله» (1) .

كيف يقبـض روح الـطفل في بـطن أمـه ؟ هـل يـدخـل عليـه من بعض جوارحها ، أم أن روح الـطفل تـطيع أمـره بإذن الله تعـالى ، أو أن ملك الموت موجود مع الطفل وهو في بطن أمه ؟؟!

حذار من الغفلة في التكبير

الامام الصادق يقول في حديث له :

«فاذا كبّرت فاستصغر ما بين العلا والثـرى دون كبريائه فإن الله اذا اطلع على قلب العبد وهـو يكبّر وفي قلبـه عارض عن حقيقـة تكبيره قـال : يا كـاذب

(1) نهج البلاغة : الخطبة ١١٢ .

أتخدعني وعزتي وجلالي لأحرمنك حلاوة ذكري ولأحجبنك عن قربي» (١) .

الله عـز وجل لا يحتـاج إلى طاعـة وخـدمـة أيّ مخلوق بـل خلقهم بفضله ورحمته لينالوا ثوابه فلو كفر جميع الخلائق أو آمنوا كلهم فلا يختلف حـاله مـطلقاً بـل المخلوق هو الـذي ينتفع بـالعبادة والـطاعة نفسـه حيث ينال بـذلك اللطف الإلهي وتشمله الرحمة الربانية .

على أيّ حال فالمصلي انما يستفيد من حقيقة التكبير ويكون صادقاً في قولـه «الله أكبـر» فيما اذا لم يـر في جانب الحق تعـالى أي موجـود آخر كبيـراً ومستحقاً للطاعة والعبادة . فلو أطاع هوى نفسه أكثر من اطـاعته لله فهـو في خطر عـظيم وينبغي أن يسارع بإصلاح نفسه .

الاستعاذة من الشيطان ماذا تعني ؟

ويستعيـذ بالله بعـد تكبيرة الاحـرام وقبل الشـروع في القـراءة ، يعني أن يلتجىء إلى الله تعـالى من شر الشيطان لأن الشيـطان يسعى لصرف المصـلي عن الصـلاة ومعانيهـا حتى لا ينتفع بهـا ، فعليه أن يقـول «أعوذ بـالله من الشيـطان الرجيم» (٢) .

وكما أنه يستعيذ من الشيطان بلسانه يجب أن يكون كذلك بعمله، يعني أن يترك كل عمل يرتضيـه الشيطان ويغلق كـل باب يلج الشيـطان منه ، وإلا فـإن حال من يقول بلسانه «أعـوذ بالله» وفي الـوقت نفسه يـرتكب المعاصي والـذنوب التي فيها هلاكه ، كمن يرى أسداً يريد افتراسه فيقول سوف التجىء إلى القلعة القريبة وانقذ نفسي منه ، ومع ذلك لا يحرك ساكنـاً : بل يكتفي بـالقول فقط ،

---

(١) ميزان الحكمة ج ٥ ، ص ٣٩٦ .

(٢) وردت روايات في استحباب ذلـك فراجـع الوسـائل : أبـواب القراءة في الصلاة ، الباب ٥٧

فتكون النتيجة أن يفترسه ذلك الاسد ولا ينفعه كلامه . اذن فلا بد من مخالفة الشيطان عملياً .

الشيطان يدخل من هذه الطرق

إن الطرق التي يدخل منها الشيطان كثيرة وأهمها : الشهوة والغضب ، فالحسد والحرص وملء البطن حتى لو كان من الحلال ، وحب الزينة والطمع بما في أيدي الناس ، والبخل والخوف من الفقر ، والتسرع في الأعمال وحب الدينار والدرهم والغرق في أمور دنيوية لم يؤمر بها بل قد نهي عنها ، والتجسس على الناس ، وسوء الظن بهم وغيرها . فكل واحد منها طريق لدخول الشيطان ، وكل من يريد معرفة هذه الطرق وأساليب غلقها عليه مراجعة الكتب الأخلاقية .

فمن كان بإمكانه غلق هذه الأبواب باختياره ولم يغلقها بل تركها مفتوحة للشياطين ، وجلس يستعيذ بلسانه ، فإن الشياطين ستدخل وتسرق، ولن يكون أية قيمة للقلقة لسانه .

فكلما أخذته الغفلة وجلس مع أهل الدنيا لاهياً وخائضاً معهم فيما يخوضون ، وجاء الشيطان وسرق منه لباس التقوى يجب عليه أن لا يركن ويسكن ، بل يركب مركب التوبة ويطارد السارق ليسترد منه ما سرقه ويزجره عن ذلك ، أي يستدرك في الأيام المقبلة ما فاته ويرغم أنف الشيطان بمخالفته له وبعودته إلى حظيرة مولاه .

طلب العون من الله

وبعد الاستعاذة بالله من مكر وتسلط الشيطان الرجيم يطلب العون من الله عز وجل في جميع أموره ، ويقطع أمله ورجاءه عن كل ما سوى الله تعالى ويقول صادقاً «بسم الله الرحمن الرحيم» حتى تحصل له المعرفة بالله الذي يفيض الحياة والرزق وسائر النعم على مخلوقاته ويوصلهم في الآخرة إلى روضة جناته

بمغفرته ورحمته ، اذن فليطلب بصدق العون من هذا الرب الـرحيم ويقطع أمله عن كل شيء سواه وكل سبب دونه .

الحمد والثناء مختص بالله

ثم يتـدبّر في النعم الـظاهريـة والباطنيـة وكلهـا من المنعم الحقيقي الـذي اعطاها لمخلوقاته «مجاناً» وبدون استحقاق ومطالبة فلا أحد يستحق الحمد والثناء غـير الله عز وجـل «الحمد لله رب العـالمين» فكـل ثناء جميـل ووصف جليل من الأزل وإلى الأبد مختص به تبارك وتعالى ، وهو الموصوف بجميع الأسـماء الحسنى والصفات العليا التي منها القدرة التامة عـلى ايجاد النعم واظهـار جميع الممكنـات واصلاحها .

ثم يتدبر في آثار لطفه وكرمه الدنيوي والأخروي حيث أوجد لعباده كل ما يحتـاجونـه لإصلاح أمـر دنياهم وأخـراهم من دون استحقاق لهم ويقـول بلسان الراجي لرحمته الواسعة «الرحمن الرحيم» .

فمن رحمته الواسعة أن زيادة ذنوب العاصين وظلم الجبارين لا تكون سبباً لسلب نعمه عنهم بل أن نعمه دائمـة فلو ندمـوا على أفعـالهم وتابـوا فإنـه يقبـل توبتهم .

عظمة الوقوف يوم القيامة

ثم يتصـور بعد ذلـك الوقـوف بين يـدي ملك جبـار منتقم يـوم القيـامـة للحساب ، حيث يصب غضبه وعذابه عـلى أهل الكفـر والظلم والعصيـان فهو أشـد المعاقبـين في موضـع النكال والنقمـة ، ويتـذكـر أن لا أحـد يملك الثـواب والعقاب في ذلك اليوم سوى الله عز وجل فيقول بكل خـوف وخشية من أهـوال يوم القيامة والتعظيم لمـالك هذا اليوم «مـالك يوم الدين» .

وبالرغم من أن الله عز وجل مالك الدنيا والآخرة لكن اختصاص مالكيته

بيوم القيامة لإظهار عظمة ذلك اليوم الذي تتجلى فيه قدرته على إحياء الموتى وسرعة الحساب لجميع الناس على أعمالهم من أول التكليف إلى آخر العمر ، وظهور آثار سطوته وانتقامه عند المجيء بجهنم ودركاتها ، وكذلك ظهور آثار رحمته وكرامته للمطيعين برؤيتهم الجنة ودرجاتها .

البكاء عند قراءة القرآن

ومن الجدير بالمصلي وهو يقرأ هذه الآية الشريفة أن يقرأها بقلب حزين وعين باكية ليكون في أمان من محن ذلك اليوم وشدائده .

روي «انه كان علي بن الحسين عليهما السلام إذا قرأ «مالك يوم الدين» يكررها حتى يكاد أن يموت» [1] .

وروي عن الصادق (ع) : «أن رسول الله (ص) أتى شباباً من الأنصار فقال : «إني أريد أن أقرأ عليكم فمن بكى فله الجنة فقرأ آخر الزمر ﴿**وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً**﴾ إلى آخر السورة فبكى القوم جميعاً إلا شاباً فقال : يا رسول الله . قد تباكيت فما قطرت عيني . فقال (ص) : إني معيد عليكم فمن تباكى فله الجنة ، فأعاد عليهم فبكى القوم وتباكى الفتى فدخلوا الجنة جميعاً . . . » [2] .

وعن الصادق (ع) : «إن القرآن نزل بالحزن فأقرأوه بالحزن» [3] .

العبادة لله والاستعانة بالله فقط

بعد أن حصل للمصلي رجاء برحمة الله الواسعة بقوله «الرحمن الرحيم» وحصلت من قوله «مالك يوم الدين» الخشية والخوف من عظمة الله وسطوته فلا

---

(١) الوسائل : الباب ٦٨ من أبواب القراءة في الصلاة ح /١ .
(٢) وسائل الشيعة الباب ٢٩ من أبواب قراءة القرآن ، ح /١ .
(٣) ن . م ، الباب ٢٢ من أبواب قراءة القرآن ، ح /١ .

بد من اظهار العبودية له فيقول بقلب خاشع ومتوجه إلى ربه «اياك نعبد» .

يجب أن يحذر الكذب عند تلفظه بهذه الآية بأن يكون عابداً للشيطان والهوى في الوقت الذي يقول بلسانه إياك نعبد .

عند ذلك يتصور فقره واحتياجه وينتبه إلى انه ليس لأحد حول وقوة حيال حول الله تعالى وقوته لذلك يطلب منه العون والمساعدة «وإياك نستعين» فالاستعانة في كل الأمور والمقاصد والحوائج بك لا بغيرك ، فلو طلب المعونة في حالة الشدّة والاحتياج من غير الله سبحانه وتعالى بحيث يعتقد حقيقة أنه مؤثر في رفع حاجته كان كاذباً .

دوام الهداية أهم حاجة

وبعد أن يتصور فقره وعجزه وعدم استقلاليته في جلب المنافع ودفع الأضرار واحتياجه إلى الباري تعالى من قوله : «اياك نعبد» ويصدق بذلك ، وبقوله : «وإياك نستعين» يفوض جميع أموره إلى الحق تعالى ويطلب منه المعونة والمدد في جميع الحالات لجميع الأمور ، عند ذلك يذكر هدفه ومراده الأهم ويطلب من الله أن يعينه على ذلك ومن البديهي ان المراد الأهم هو القرب من الخالق جل وعلا الذي لا يحصل إلا بسلوك الطريق المستقيم فيقول «إهدنا الصراط المستقيم» الصراط الذي يوصلنا إلى الجنة والرضوان .

روي عن أمير المؤمنين (ع) في معنى هذه الآيات «يعني أدم لنا توفيقك الذي أطعناك به في ماضي أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل اعمارنا» (١) .

ويقول صاحب تفسير منهج الصادقين : إنه كلما قال العارف «اهدنا الصراط المستقيم» فمراده طريق الذين انعمت عليهم بالهداية والعبادة وهو

---

(١) تفسير الصافي ح ١ ، ص ٧٢ .

الطريق الذي سار عليه الانبياء ، والصدّيقون والشهداء والصلحاء وفازوا بجوار الله .

لا افراط ولا تفريط

«غير المغضوب عليهم» يعني طريق الكفّار واليهود والمنافقين فهؤلاء كانوا دائماً مورد الغضب الالهي .

«ولا الضّالّين» المراد بهم النصارى بسبب إفراطهم في ثناء عيسى حتى قالوا إنه ابن الله ، والتفريط بالنسبة إلى خاتم الأنبياء (ص) حيث لم يقبلوا بنبوته فأصبحوا ضالّين ومنحرفين عن الصراط المستقيم وهو الايمان بالله والتصديق بجميع الأنبياء وكتبهم .

وبعد قراءة سورة الحمد بالكيفية المذكورة ، يختار احدى سور القرآن ويقرأها متدبراً في معانيها فإذا مر بآية فيها تخويف من العذاب يستشعر الخوف ويبكي ويستعيذ بالله عز وجل ، وكلما مر بآية فيها ترغيب بالثواب والرحمة طلب ذلك من الله تعالى (١) .

التأكيد على قراءة سورة الاخلاص

هناك روايات كثيرة تؤكد على قراءة سورة الاخلاص وهي سورة ﴿قل هو الله احد﴾ في الصلاة وفي غير الصلاة لذلك من الأفضل قراءة هذه السورة .

وقد روي في كتاب (من لا يحضره الفقيه) عن الامام أبي عبدالله (ع) انه قال : من مضى به يوم واحد فصلى فيه خمس صلوات ولم يقرأ فيه بقل هو الله أحد قيل له يا عبدالله لست من المصلين (٢) .

---

(١) راجع وسائل الشيعة الباب ٣ من أبواب قراءة القرآن ، ح ١ و ٦ و ٨ .
(٢) تفسير الصافي ج ٥ ، ص ٣٩٤ ووسائل الشيعة : الباب ٢٤ من أبواب القراءة في الصلاة ، ح /٢ .

وقد ورد عن الصادق (ع) «قل هو الله أحد ثلث القرآن» [1] .

ويقول قاصداً قراءة هذه السورة المباركة (بسم الله الرحمن الرحيم) .

معاني سورة الاخلاص

سأل جماعة من اليهود رسول الله (ص) عن الحق جل وعلا وصفاته واسمائه فنزلت هذه السورة .

قل هو الله أحد : قل يا محمد (ص) في جواب من سألك عن الله وصفاته انه «هو الله» الآله الجامع لصفات الكمال «احد» المتفرد من غير تركيب فالواحد يدل على الوحدة لكن الأحد يعني المتفرد بالألوهية لا يشاركه فيها غيره .

«الله الصمد» : المعبود بالحق ملجأ المحتاجين الذي لا يحتاج إلى أحد .

وسُئِل الإمام علي بن الحسين (ع) عن الصمد فقال : «الصمد الذي لا شريك له ولا يؤده حفظ شيء ولا يعزب عنه شيء» [2] .

«لم يلد» ان الله تعالى منزه عن أن يلد منه أشياء جسمية مثل الولد أو أشياء روحية مثل الروح والنفس وكذلك عوارض المخلوقات مثل النوم والضحك والبكاء والجوع والشبع وغيرها ، التي هي من لوازم المخلوق لا الخالق .

«ولم يولد» فهو لم ينفصل من شيء بل خلق كل شيء بقدرته البالغة ، ورزقهم بإرادته وأبقاهم لحكمة ومصلحة .

---

(١) وسائل الشيعة : الباب ٣١ من أبواب قراءة القرآن ح /٣ .
(٢) تفسير الصافي ج ٥ ، من ص ٣٩١ .

«ولم يكن له كفواً أحد» فلا أحـد يضاهيـه في صفاتـه ، وليس له نـظير في وجوده فلا أحد مثل الله في ذاته وصفاته .

روى فضيـل بن يسار قـال : إن الامام البـاقر (ع) أمـرني اذا فـرغت من قراءة قل هو الله أحد أن أقول (كذلك الله ربي) ثلاث مرات [1] .

استشعار العظمة عند الركوع

بعد الانتهاء من المقام الأول لإظهار العبودية وهو القيام يتذكر عظمة الحق جل وعلا وجلالته ومالكيته وحقارة وذلة نفسـه أمام خـالقها وانـه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا مـوتاً ولا حيـاة ، وكذلـك يتذكـر أنه هالـك وفانٍ ولا يبقى في الوجود أحدٌ غير الله تعالى فيستعد لإظهار المقام الثاني للعبودية وهو الركوع فيكبر «الله أكبر» ويحني اعضاء بدنه الرئيسية وهي الرأس والوجـه والجذع أمـام عظمـة وكبرياء الخـالق عز وجـل ويظهـر ما في قلبـه من الخشوع بلسـانه ويقول: بكـل خضـوع وخشوع «سبحـان ربي العظيم وبحمـده» . أي أن ربي منـزه عن جميـع النقائص في ذاته وصفاته وأفعاله .

تنزيه الحق في اذكار الركوع

ومعنى ذلك ، أن الله تعالى منزه عن جميع لوازم الإمكان فوجوده عين ذاته وغـير محتاج إلى شيء بـل أن كل شيء محتـاج إليه في وجـوده ، فكـل مـا يكـون مناسباً للمخلوقات فإن الله عز وجل منزه عنه كـذلك ، ومنـزه بحسب الصفات فليست هي حـادثة مثـل صفات المخلوق ، بـل أن صفـاتـه عـين ذاتـه وقـديمـة بقِدمِه .

ومن حيث الأفعال كذلك سبحانه منزه عن فعل القبيح والعبث ، فجميع افعاله صادرة عن حكمة ودراية ومصلحة وهـدفه لا يشـابه سـائر المخلوقـات في

(١) وسائل الشيعة : الباب ٢٠ من أبواب القراءة في الصلاة ح /٩ .

اهـدافهم واغراضهم لأن الغـرض في افعال المخلوقـات دفع الضـرر أو جلـب المنفعة لهم، وأما ذاته المطلقة والأبدية فهي منزهة عن الاحتياج إلى أحـد، وغنية عن كل شيء .

ومن الأفضل أن لا يكتفي بالـذكر مـرة واحدة ، بـل يكرر هـذا التسبيح حتى يكون تأثيره ونفعه أكثر ، وكلما أكثر من التسبيح والخضوع فإن درجته ترتفع عند ربه

الامام الصادق (ع) يقـول : فاركـع ركوع خـاشع لله بقلبـه متذلـل وجل تحت سلطانه خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على مـا يفوتـه من «فوائـد الراكعين» (١) .

نموذج من صلاة الزهاد

كـان ربيع بن حثيم احـد الـزهـاد الثمـانيـة وقبـره في خـراسـان المشهـور بـ (خواجة ربيع) وقد نقل أنه ان كـان يقضي الليل كله بـركعة واحدة وعندمـا يصبح يتأوه ويبكي قائلاً : «لقد سبق المخلصون وقطع بنا» .

وذكر الغزالي في كتاب احياءالعلوم أن (ربيعاً) عليه الرحمة كان قد حفر في بيته قبراً ، وكان كلما يرى من نفسه غفلة عن الآخرة يدخل إلى القبر ويضطجع على جانبه ويبقى كذلـك مدة ثم يقـول «رب ارجعون لعـلي اعمل صـالحاً فيـما تـركت» ويكررهـا ، ثم يخاطب نفسـه ويقول : يـا ربيع لقـد رجعت إلى الدنيـا فاعمل ما ينبغي لآخرتك .

ويذكر الشيخ الجليل بهاء الملة والدين (الشيـخ البهائي) في الكشكـول ان «ربيع بن حثيم» أحد الزهاد الثمانية كان يبكي كثيراً في الليل ولما رأت أمـه كثرة بكائه قالت له : لعلك قتلت انساناً فصرت تبكي هذا البكاء ، فاذا كان كذلـك

---

(١) راجع مصباح الشريعة .

فاخبرني حتى أذهب إلى ورثة المقتول وأذكر لهم حالتك فربما عفوا عنك ورحموك إذا علموا بأي حال أنت .

فقال : نعم يا أمي ، أنا قتلت نفساً وارتكبت ظلماً ولكن لم اقتل شخصاً آخر بل قتلت نفسي وظلمتها . أي أنني لم ادرك مقام المقربين ولم أحصل على درجات المتقين بسبب توجهي إلى الدنيا وغفلتي عن الآخرة والتقصير في الأعمال .

والغرض من هذا الكلام أن نتعلم من العلماء والأولياء طريق الخوف والخشية من الله تعالى وتأديب النفس الامارة بالسوء حتى لا تتعلق بالدنيا بل يكون كل اهتمامها هو التعلق باليوم الآخر والسعي له .

السجود أعظم مراتب الخشوع

وبعد الانتهاء من المقام الثاني لإظهار العبودية وهو الركوع ، يرفع المصلي رأسه ويقول «سمع الله لمن حمده» ثم يتهيأ للاتيان بالمقام الثالث لإظهار العبودية وهو أعظم من المقامين السابقين ألا «وهو السجود» ، فيقول «الله أكبر» .

السجود أعظم مراتب الخشوع وأفضل درجات الخضوع وموجب للتقرب إلى الله تعالى والنيل من أنوار رحمته اللامتناهية .

يقول سبحانه وتعالى ﴿**واسجد واقترب**﴾ [1] . فالسجود سبب القرب من الله عز وجل .

وعندما يأتي المصلي بهذا الركن المهم يبتغي أن يتذكر في نفسه عظمة الباري عز وجل ويقابل هذه العظمة بإظهار الدرجة العالية من العبودية ويضع أشرف عضو من اعضائه وهو الوجه بأعلى موضع منه وهو الجبهة على أحقر الأشياء وهو التراب ويتذكر بدايته ونهايته وانه كان تراباً وسيعود تراباً كذلك

(١) العلق / ١٩ .

﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ [1] .

تنزيه الحق في اذكار السجود

وبعد اظهار غاية الفقر والاحتياج إلى الله تعالى وتنزيهه عن جميع النـواقص واظهار الايمان به والعبودية له يستحب أن يقرأ الدعاء الـوارد في حالة السجدة : اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك اسلمت وعليك توكلت وأنت ربي ، سجـد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره والحمد لله رب العالمين وتبارك الله أحسن الخالقين . ثم يقول بخشوع تام« سبحان ربي الأعلى وبحمده» ربي منزه عن كل نقص وأعـلى من أن تدركـه الأفكار والعقـول أو تصـل إلى ساحة قـدسـه أوهـام الخلائق ، واشكره وأحمده على جميع نعمه غير المتناهية .

وكما مرّ في الركوع فعليـه أن يسعى لتكرار الـذكر والتسبيـح أكثر من مـرّة حتى يـدرك بتذلله وخضوعه عظمـة الحق جل وعـلا أكثر ، فـإذا حصلت حالـة الانكسار في قلبه فليتهيأ لنزول الرحمة والعطاء الإلهي .

ومن الأفضل أن لا يجعل حاجباً بينه وبين التراب أي لا يجلس على فراش بل يضع جميـع اعضائـه السبعة عـلى الأرض زيادة في الخضـوع والخشوع وبهـذا تظهر العبودية أكثر وتكون موجبة لزيادة الرحمة الالهية .

والهدف مما ذكرنا أن يدرك قدر السجود ووضع الأعضاء على تراب المذلـة والعبـودية لله ، وكلما أمكنـه إطالـة السجود كـان أفضل [2] كـما كان عليـه حال الأئمة عليهم السلام ، فقد كان الامام الصادق يكرر الذكـر في السجود سبعـين مرة ، وينبغي أن يسعى ليكون منكسر القلب دامع العين .

---

(١) طه / ٥٥

(٢) راجع الروايـات الواردة في استحباب اطالة السجـود في وسـائـل الشيعة البـاب ٣٣ من أبواب السجود .

حقيقة السجود سبب للفلاح

يقول الامام الصادق (ع) : ما خسر والله من أتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرة واحدة وما أفلح من خـلا بربـه في مثل ذلـك الحال شبيهـاً بمخادع نفسه غافل لاهٍ عمّا اعدّ الله للساجدين [1] .

اجـل . . فإن حقيقـة السجود اظهـار العجز والمـذلـة والافتقـار في محضر الخالق جلّ وعلا حتى ولو كان لمرة واحدة في العمر لأن اظهار العجز والمذلة التي هي حقيقة السجود موجب للمغفرة والرحمة ، فلو لم يحصل على المغفـرة والرحمـة كان من أهل العذاب والخسران ، ولذلك قال عليه السـلام : ما افلح من خـلا بربه في مثل ذلك الحال شبيهـاً . . . الخ .

ثم قال عليه السلام : فاسجد سجود متواضع لله ذليـل علم أنه خلق من تراب يطأه الخلق وأنه اتخذك من نطفة يستقذرها كل أحد .

وبعد اتمام السجـدة يرفـع رأسه ويجلس متـذكراً كثـرة ذنوبـه وجرأتـه على مخالفة اوامر الله عز وجـل واقدامـه على المعصيـة خائفـاً من احتمال بقـاء ذنوبـه وعدم غفرانها فلذلك يطلب من الله المغفـرة ويقرأ الـدعاء الـوارد في هذا الحال: اللهم اغفر لي وارحمني واجرني وادفع عني فإني لما أنزلت إليّ من خـير فقير تبـارك الله رب العالمين . ويقول بعد ذلك «أستغفر الله ربي وأتوب إليه» .

ثم يؤكد خضوعه وتواضعه بالسجدة الثانية .

وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم

في السجـدة الأولى يتذكـر أن أصله من تراب «منهـا خلقناكـم» وعنـد رفع الرأس من السجود يتذكر خلقتـه ونموه ونشـوءَه في الدنيـا ، وفي السجدة الثـانية

---

(١) ميزان الحكمة ج ٤ ، ص ٣٨٣ .

رحيله من الـدنيا وعـودتـه إلى الأرض «وفيهـا نعيـدكم» وعنـد رفـع الـرأس من السجدة الثانية يتذكر القيامة وأهوالها «ومنها نخرجكم تارة أخرى» [١] .

وفي الوقت نفسه يجب أن يكون خائفاً من ذنوبـه ومن احتمال عـدم قبول حسنـاته فـلا بد أن يكـون مأيـوساً من عمله ومؤمـلاً لرحمـة الله وفضلـه العميم ويتمسك بكلمة التـوحيد التي هي حصن الله تعـالى [٢] ويقول «أشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له» .

عشر صلوات من النبي |ص| للمصلي عليه

ثم يتذكر مقام وعظمـة الرسـول الأكرم (ص) وأهـل بيته الأطهـار عليهم السلام الذين هم طريق القرب من الحق تعالى والنجاة من النار ، فكل من أراد التقرب إلى الله تعالى بدأ بهم ، فليقل: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ اللهم صل على محمد وآل محمد» والواقع أن الصلاة على النبي (ص) لو صدرت حقيقة من المؤمن فلينتـظر أن يصلي عليـه النبي (ص) عشر مرات [٣] ومن الـواضح أن صـلاة رسول الله (ص) اذا شملت أحـد الأشخاص فسـوف توجب لـه السعادة والفلاح .

والامـام الصـادق(ع) يقـول: التشهـد ثنـاء عـلى الله فكن عبـداً لـه في السرّ خاضعاً له في الفعل كما أنك عبد له بالقول والدعوى وقد أمرك بالصلاة على نبيه محمد فأوصل صلواته بصلواته وطاعته بطاعته وشهادتـه بشهادتـه وانظر إلى أن لا تفوتك بركات معرفته فتحرم عن فائدة صلواته [٤] .

---

(١) كل هذه مقاطع من الآية ٥٥ من سورة طه / .

(٢) كما ورد في حديث سلسلة الذهب عن الرضا .

(٣) قـال رسول الله (ص) : من صـلى علي مـرّة صليت عليه عشـراً ، ومن صلى عـليّ عشراً صليت عليه مائة ، فليكثر امرؤ منكم الصلاة عليّ . بحار الأنوار ح ٦ ، ص ٢٥٤

(٤) راجع روايات استحباب الإكثار من الصلاة على محمـد وآله (ع) في الـوسائـل الباب ٣٤ وما بعده من أبواب الذكر من كتاب الصلاة .

وأمر نبيه بالاستغفار والشفاعة لكم (تركنا ذكر بقية الحديث اختصاراً).

التوجه للمخاطب عند السلام

وبعد الانتهاء من التشهد يتصور في حضـرة سيد المرسلين (ص) ويخاطب النبي الكريم (ص) ويقول «السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته» ثم يخطر في قلبه خاتم المرسلين (ص) وسائر الأنبياء والأئمة عليهم السلام ويقول «السلام علينـا وعلى عبـاد الله الصالحـين» ثم يضيـف في قلبه المـلائكة المـوكلين بأعمـالـه وعقائده ، وإذا كان في صلاة الجماعة يضيف إليهم أمام الجماعة أن وجد مأموم ، والمأمومون إن كان عندهم أمام ويقول « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

قال الصادق (ع) : «معنى السلام في دبر كل صلاة الأمان أي من ادى أمر الله وسنة نبيه خاضعاً له خاشعاً منه فله الأمان من بلاء الدنيا وبـراءة من عذاب الآخرة» [1] .

وخلاصة بقيـة الحديث انـه (ع) يأمـر المسلم أن يطهـر نفسه من ظلمـات المعاصي والاخلاق الذميمة وأكثرها بشاعة وقبحاً حب الدنيا والمال والجاه ويأمره أن يكون الناس منه في راحة وإلا فلا يكون مسلماً حقاً .

التعقيبات أفضل من النافلة

وبعد الانتهاء من الصلاة تأتي تعقيبـات الصلاة وهي مهمـة إلى درجة انها أفضل من صلاة النافلة وموجبة لزيادة الرزق [2] .

والمقصـود من التعقيبات هـو أن يشتغل بعـد الفراغ من الصـلاة بالـدعاء والذكر وتلاوة القرآن وغيرها من قبيل التفكر في عظمة الله ونعمه ومحاسبة النفس والبكاء من خشية الله .

---

(١) راجع مصباح الشريعة .

(٢) وسائل الشيعة : الباب الأول من أبواب التعقيب ، وكذاالباب /٥ .

وعلى كل حال لا ينبغي ترك التعقيبات وخاصة بعد صلاة الصبح والعصر[1] حيث ورد التأكيد الكثير على ذلك ولو لم يشتغل بالذكر والدعاء فليبق جالساً متوجهاً إلى القبلة حتى مطلع الشمس فقد ورد استحباب[2] الجلوس للتعقيب بين الطلوعين (من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس) .

تقسيم الوقت بعد صلاة الصبح

نقل عن بعض العلماء أن المؤمن ينبغي أن يقسم الوقت الذي يقع بعد صلاة الصبح وحتى طلوع الشمس إلى أربعة أقسام :

الأول : الذكر والتسبيح وأفضله تسبيحة الزهراء[3] عليها السلام فهو أفضل من ألف ركعة .

القسم الثاني: قراءة الأدعية الواردة في هذا الوقت والمذكورة في كتب الأدعية .

القسم الثالث : تلاوة القرآن الكريم .

والرابع : التفكير بالذنوب التي ارتكبها ويستغفر الله عز وجل منها ويصمم على عدم الاتيان بها فيما بعد .

ومن الجدير بالمؤمن أن يرتب اعمال ذلك اليوم إلى المغرب ولا يغفل عنها لحظة واحدة ولا يشتغل إلا بعبادة الله والخدمة لعباده من عياله وأولاده وغيرهم ، ويفكر باقتراب الموت ولا تكون نتيجة الغفلة حينئذ سوى الحسرة والندامة .

---

(١) ن . م .

(٢) ن.م السابق الباب /١٨ .

(٣) ن . م. السابق ، الأبواب /٧ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ .

سجود الشكر على التوفيق للصلاة

وبعد الانتهاء من التعقيبات يأتي بسجدتي الشكر[١] على أن وفقه الله تعالى للاتيان بهذه العبادة المهمة وهي الصلاة ، وأفضل كيفية لها هو أن يضع جبهته على الأرض مرتين ويعفّر بين السجدتين ، والمقصود من التعفير أن يضع خدّيه على التراب ويلصق صدره وبطنه بالأرض ويطيل السجود ويكثر من قول : شكراً شكراً وحمداً حمداً ويسعى جاهداً ليكون باكياً متضرعاً، فهذه الحالة هي أقرب الحالات إلى الله عز وجل ويقرأ الأدعية الواردة فيها ومن جملتها قول (العفو) ألف مرة وإن لم يستطع فمائة مرّة العفو العفو وشكراً شكراً، وان لم يتمكن فلا أقل من ثلاث مرات .

وقد ورد[٢] في الروايات أن أبا الحسن موسى بن جعفر (ع) «كان يسجد بعدما يصلي فلا يرفع رأسه حتى يتعالى النهار» .

والتعفير من علامات المؤمن كما ورد في الروايات وقد وصل موسى بن عمران[٣] إلى مقام النبوة بواسطة زيادة التعفير والسجود بعد الصلاة (سجدة الشكر) .

روي عن الامام الصادق (ع) : « . . . ثم سجد سجدة الشكر بعد فراغه فقال : ما شاء الله ما شاء الله مائة مرة ناداه الله جل جلاله من فوق عرشه : عبدي إلى كم تقول ما شاء الله أنا ربك وإليّ المشيئة وقد شئت قضاء حاجتك فسلني ما شئت»[٤] .

---

(١) راجع الوسائل : أبواب سجدتي السكر من كتاب الصلاة .
(٢) الوسائل . كتاب الصلاه ، الباب ٢ من أبواب سجدتي الشكر .
(٣) ن . م ، الباب الثالث من أبواب سجدتي السكر
(٤) ن م الباب الأول من ابواب سجدتي الشكر

المطلب الرابع

في بيان سائر الشروط والمعاني الباطنية للصلاة وموانع قبولها

المعاني الباطنية للصلاة ستة أشياء

الأول : حضور القلب وهو أن يكون فكره خالياً عما سوى الله تعالى ومتوجهاً إلى الصلاة فقط كما ذكر في المطلب الثاني ، وذلك لا يكون إلا بأن يعتقد بأهمية الصلاة وهذا لا يكون أيضاً إلا بأن يدرك حقارة الدنيا ويتيقن أفضلية الآخرة ودوامها ويعلم بأن الصلاة هي الوسيلة لتحصيل الآخرة كما أشير إلى ذلك في المطلب الثاني .

الثاني : فهم معاني وأفعال وأقوال الصلاة بالشكل المذكور في المطلب الثالث فهو سبب لحضور القلب كما تقدم .

الثالث : التعظيم ، وهو ينشأ من أمرين : **الأول** : معرفة حقارة النفس ودناءتها وأنه عبد عاجز لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ، ولا نشوراً ، وليس له قدرة مستقلة في أي شيء .

الثاني : معرفة جلال وعظمة الحق تعالى وأنه سلطان السماوات والأرض وعالم الخلق والامر ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ونتيجة كلتا المعرفتين هي الانكسار والخشوع أمام الحق تعالى وهذا هو «التعظيم» .

الرابع : الهيبة : وهي الحالة التي تحصل للنفس بواسطة معرفة قدرة الحق جل وعلا ، فعندما يدرك الانسان أن الله عز وجل على كل شيء قدير ، وأن مشيئته نافذة بحيث لو أراد أن يعامل الخلائق بعدله لعذبهم جميعاً ، ولا يستطيع

أحـد أن يعترض أو أن يعتذر ﴿**هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون**﴾ [1] .

وعلى كل حال فكلما كملت المعرفة بالله وبقدرته غير المتناهية ازدادت الخشية له والهيبة منه .

الخامس : الرجاء : فكما أن المصلي لا بد ان يكون خائفاً من عذاب الله بسبب تقصيره يجب أن يكون راجياً للثواب الذي كتبه الله للمصلين، وسبب الرجاء هو اليقين بأن الله تعالى يفي بوعده ﴿ **ومن أوفى بعهده من الله** ﴾[2] ، وهو الكريم واللطيف بعباده وقد سبقت رحمته غضبه .

السادس : الحياء : وسببه معرفة جلال الله وعظمته عز وجل الذي لا حاجة به اطلاقاً لعِبادة خلقه ، فيجب أن يكون المصلي على يقين من أنه لو أتى بعبادة الثقلين (الجن والانس) لم يف بحق عبادته .

ولا يخفى أن روح العبادة هي معرفة عظمة الحق تعالى والحاجة المطلقة إلى رحمته الواسعة والتي من جملتها الحاجة إلى التوفيق للعبادة ونتيجة ذلك أن يرى نفسه مقصراً في اعماله ومؤملاً لفضله وكرمه خائفاً من عدله .

قال رسول الله (ص): «ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك» .

والشواهد على هذا المعنى كثيرة لم نذكرها اختصاراً .

موانع القبول تختلف عن موانع الصحة

ذكرنا سابقاً أن هناك فرقاً بين صحة الصلاة وقبولها بمعنى أن الصلاة يمكن

---

(١) المرسلات /٣٥ ـ ٣٦ .

(٢) التوبة /١١١ .

أن تقع صحيحة فلا حاجة إلى اعادتها أو قضائها وكذلك لا يعاقب عقاب تارك الصلاة ، ولكن مع ذلك ، لا تكون مقبولة أي لا تؤثر في القرب من الله عز وجل ولا يترتب عليها الثواب المعد للمصلين .

فعلى هذا يمكن أن تقع الصلاة صحيحة ومع ذلك لا تكون مقبولة لفقد شرط من شروط القبول أو وجود مانع له . وشروط قبول الصلاة هي ما ذكرنا من الأمور الستة ، وأما موانع قبولها فهي :

موانع قبول الصلاة

من جملة موانع قبول العمل العُجْب ، وهو أن يرىٰ عمله كبيراً وحسناً ، وحقيقته الجهل بأن جميع الحسنات والخيرات انما هي من الله تعالى لأن توفيق الخير منه ، ومن ناحية أخرىٰ كون رؤية العمل خالياً من كل نقص وموجباً للنجاة من النار أيضاً من الجهل .

وفي مقابل العُجْب الاعتقاد بالتقصير في مقام العمل بحيث لا يرى لعمله قيمة وأهمية ويسعىٰ إلى تحسينه جهد الامكان .

ومن جملة الموانع الحسد والتكبر والغيبة ، ومنها أكل الحرام ونشوز الزوجة ، وبتعبير القرآن الكريم ﴿**انما يتقبل الله من المتقين**﴾ (١) .

والحقيقة أن العبادة التي هي طريق القرب من الله تعالى وسبب نيل الجنة وهي الصراط المستقيم بتعبير القرآن الكريم ﴿**وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم**﴾ (٢) . طريق صعب كثير الآفات والموانع . ولأجل الاطلاع علىٰ موانع

---

(١) المائدة /٢٧ .

(٢) يس /٦١ .

قبول الصلاة نذكر حديث رسول الله (ص) لمعاذ بن جبل [1] :

قال رسول الله (ص) لمعاذ : احدثك شيئاً ما حدّث به نبيّ أمته ان حفظته نفعك عيشك وأن سمعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله ، ثم قال (ص) : إن الله خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السماوات فجعل في كل سماء ملكاً قد جللها بعظمته ، وجعل على كل باب من أبواب السماوات ملكاً بوّاباً ، فتكتب الحفظة عمل العبد من حين يصبح إلىٰ حين يمسي ، ثم ترتفع الحفظة بعمله وله نور كنور الشمس حتىٰ اذا بلغ سماء الدنيا فتزكيه وتكثره فيقول الملك : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، أنا ملك الغيبة فمن اغتاب لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري أمرني بذلك ربي .

والحديث طويل وخلاصته أن الحفظة تأتي في الغد ومعهم أعمال العبد فيصلون إلى السماء الثانية فيردهم الملك ويقول انما أراد بهذا عرض الدنيا أنا صاحب الدنيا ، ثم يأتون إلى السماء الثالثة فيردهم الملك ويقول أنا صاحب الكبر انه عمل وتكبر على الناس ، وتصعد الحفظة إلى السماء الرابعة فيردهم الملك ويقول : أنا ملك العجب أنه كان يعجب بنفسه ، ثم الخامسة يردهم الملك ويقول : أنا ملك الحسد أنه كان يحسد . وفي السادسة يقول الملك أنا صاحب الرحمة فيرد العمل ويقول أن صاحبه لم يرحم شيئاً . وفي السابعة يردهم الملك ويقول : أنا صاحب الحجاب أحجب كل عمل ليس لله وهو لم يكن كذلك . ثم اذا خلص من هذه الموانع يصعدون به إلى الله عز وجل فيقول : أنتم حفظة عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه أنه لم يردني بهذا العمل عليه لعنتي .

ثم بكى معاذ فقال له رسول الله (ص) : وان كان في عملك تقصير فاقطع لسانك عن اخوانك وعن حملة القرآن ولتكن ذنوبك عليك لا تحملها علىٰ

---

(١) عدة الداعي ص ٢٢٨ .

اخوانك ، ولا تزك نفسك بتذميم اخوانك ولا ترفع نفسك بـوضع اخـوانك ولا تراء بعملك ولا تدخل من الدنيا في الآخرة ولا تفحش في مجلسك لكي يحذروك لسوء خلقك ولا تناج مع رجل وأنت مع آخر ولا تعظم على الناس فتنقطع عنك خيـرات الدنيـا ، ولا تمزق النـاس فتمزقـك كـلاب أهـل النـار قـال الله تعـالى ﴿**والناشطات نشطاً**﴾ أفتدري ما الناشطات ؟ انها كلاب أهل النار تنشط اللحم والعظم . قال معاذ : ـ ومن يطيق هذه الخصال ؟ قال (ص) : يا معاذ انه يسـير على من يسّره الله تعالى عليه .

الخاتمة

في بيان مختصر عن كيفية السلوك إلى الله وطريقة النجاة من اخطار الدنيا .

الدنيا مزرعة الآخرة

كما أن للدنيا القابلية علىٰ احتضان البذور وتنميتها ومضاعفتها إلى مائة وسبعمائة ضعف كذلك لها استعداد وقابلية على أن تكون مزرعة للآخرة واحتضان بذور الأعمال الصالحة وتنميتها ومضاعفتها إلى ما لا نهاية .

وهكذا نفس الانسان أيضاً لها القابلية على احتضان بذور الفضائل وسقيها بماء العناية وشمس الشريعة لتثمر القرب والمعرفة والدرجة العالية في الجنان كما ورد في الحديث القدسي «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» .

التقوى في مقابل الشهوة والغضب

إن الهدف من تعلق الروح بالبدن هو أن تتمكن الروح بواسطة هذا المركب أن تحصل علىٰ القرب والنور الالهي ، وبما أن وجود الهوىٰ والغضب يشكل مانعاً من الوصول إلى هذا المقام لذلك أرسل الله سبحانه وتعالى الأنبياء والرسل لتعليم الناس وتعريفهم بالشرائع الالهية التي لو عمل بها لبقيت قوة الغضب وقوة الشهوة في حدود الاعتدال ، ولنمت في النفس صفات انسانية وخصائل من

حياءٍ وجودٍ وشجاعة ومروءة وقناعة وصبر وشكر وغيرها من الصفات الحميدة ، ولتحولت نفس الانسان من نفس أمّارة إلى نفس مطمئنة لتكون لائقة ومؤهلة للخطاب الالهي ﴿ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ [١] وتتمنى هذه النفس بعد الورود على بساط الرحمة واللطف الالهي ﴿يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ [٢] . فتعيش مخلدة في النعيم الآلهي الأبدي .

نتيجة اتباع الشهوة والغضب

أما لو عصى أوامر الشرع الآلهي وخلع من رقبته طوق التدين وهرب من بستان الدين وتوجه إلى الدنيا والهوىٰ التحق بعالم البهائم والوحوش والانعام بل هو أضل سبيلاً لأن الحيوانات لا تعذب في الآخرة بخلاف الانسان الذي يوجب لنفسه العذاب الدائم في الآخرة باختياره الصفات الذميمة مثل الشدة والحرص والبُخل التي تنشأ من اتباع قوة الشهوة ، والعداوة والتكبر والعصبية والاستبداد وغيرها التي تنشأ من اتباع قوة الغضب . ومن كليهما ينشأ الحسد . فلو استحكمت هذه الصفات في النفس مال طبعها إلى الفسق والفجور والقتل والايذاء وسائر المفاسد الأخرى ، وبعد الموت تعذب النفس بنار كل واحد من هذه الصفات .

الجهل والغفلة هما السبب

ولأجل أن تدرك مقدار غفلة وجهل الانسان نذكر هذا المقال : لو أن طبيباً يهودياً قال لك مثلاً : اذا أردت الشفاء والنجاة من هذا المرض فيجب أن لا تشرب الماء لمدة ثلاثة أيام وتعمل بما أقول لك . فانظر كيف تطمئنّ إلى كلام هذا الطبيب وتصبر على العطش رجاء زوال المرض وخوفاً من زيادته ، ولكن الانسان وبالرغم من أخبار الأطباء الروحيين يعني مائة وأربعة وعشرين ألف نبي

---

(١) الفجر /٢٨ .

(٢) يس /٢٦ ـ ٢٧ .

بـالأمراض البـاطنية لـلانسان وطـرق علاجهـا ومع ذلـك قـد لا يقبـل منهم ولا يطيعهم بل يتصور كلام الأنبياء خرافة وحتى لو صدقهم فإنـه يتصور أن عـذاب الآخرة مثل عذاب الدنيا في حين أن أمير المؤمنين يصف عذاب الآخرة بأنه مما لا تقوم له السمٰوات والأرض .

﴿يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بـالله الغرور﴾ [1] .

مراقبة القلب والجوارح في كل حال

بعد أن تبيّن أن النجاة من أخطار الدنيا وعذاب الآخرة والفـوز بالجنـة لا يكون إلا بالعمل بما رسمته الشريعة المقدسة .

إن العمل بأوامر الشرع لا يحصل إلا بمراقبـة القلب والجوارح ، أي يجب أن يواظب الانسان على مراقبة اعماله الباطنية والظاهرية ويقسّم أوقاته من ساعة استيقـاظـه من النـوم إلى أن ينـام مـرة أخـرى حتىٰ لا يضيـع عمـره ويسبب لـه الخسران ، فلا بد أن يكون متوجهاً في كـل حال إلىٰ مـا يتطلبـه التكليف الآلهي ويقتضيه .

وطـريقة تقسيم الأوقـات كما ذكـره الأخيار ، أن يسعى أولاً لـلانتبـاه من النوم مبكراً ، فينهض دائماً قبل طلوع الفجر بقليل ، وأول شيء يجري على قلبـه ولسـانه ذكـر الله عز وجـل «الحمدلله الـذي احياني بعـد ما أمـاتني وإليـه البعث والنشـور» ويسجد ثم يجلس ويقـرأ الدعـاء المأثور: اللهم أعنّي على هـول المطلع ووسع علي المضجع وارزقني خير ما قبل الموت وارزقني خير ما بعد الموت . . ثم يلبس ملابسه ويقرأ أيضاً الدعاء الوارد في هذه الحالة: الحمـدلله الذي كسـاني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس .

---

(١) فاطر / ٥ .

واذا قصد الذهاب إلى بيت الخلاء فليتزم بآدابه المذكورة في الكتب المأثورة .

وفي حالة الوضوء يراعي كذلك آداب الوضوء والأدعية الواردة . ويتطيب قبل الصلاة وان اتسع الوقت للاتيان بصلاة الليل فليصلها وهي عبارة عن ثمان ركعات صلاة الليل وركعتي الشفع وركعة واحدة وتدعى الوتر ، وكذلك يصلي ركعتي نافلة الصبح ، وان لم يسع الوقت ، اكتفى بركعتي الشفع وركعة الوتر ثم يصلي نافلة الصبح .

الاهتمام بالاستغفار في السحر

عليه أن لا يترك الاستغفار في وقت السحر وخاصة في قنوت صلاة الوتر حيث يستغفر سبعين مرة ، وقد مدح الله عز وجل المستغفرين بالاسحار في كتابه الكريم [١] .

فلو تمكن من الذهاب إلى المسجد وأدرك فضيلة الصلاة فيه وفضيلة صلاة الجماعة والأدعية الواردة في هذا المجال فلا ينبغي له تركه . ثم ينشغل بالصلاة مع رعاية آدابها ثم يجلس للتعقيبات حتى طلوع الشمس ، ثم يسجد سجدة الشكر ويُطيلها .

مراعاة آداب الأكل

وبعد مضي مقدار من النهار ، يتصدق ويأكل ان كان جائعاً بقصد تقوية البدن ورفع الجوع ، ويغسل يديه قبل الأكل ويجلس متواضعاً ويبدأ ببسم الله ، ويكرر الحمدلله اثناء الأكل ويبتدىء بالملح ويختم به ، ولا يأكل اللحم مرتين في اليوم بل مرة واحدة لكل ثلاثة أيام ولا يتركه لمدة أربعين يوماً .

ويستحب اطالة الجلوس على مائدة الطعام وتصغير اللقمة وجودة المضغ ،

(١) الذاريات /١٨ وآل عمران /١٧ .

ولا ينظر في وجوه جلسائه ، ويرفع يده عن الطعام وهو يشتهيه ، وان عطش تناول قليلاً من الماء لأن الاكثار منه يوجب المرض ولا ينسى بسم الله والحمدلله عند الشرب ، ويتذكر عطش الامام الحسين (ع) فيسلم عليه ويلعن قاتليه .

هذا موجز من آداب الأكل والشرب وتفصيله مذكور في الكتب الفقهية (١) .

تحصيل العلوم الأخروية أفضل الأعمال

بعد ذلك يهتم بتحصيل العلوم الأخروية اذا لم يكن به حاجة للكسب الدنيوي ، وأهم هذه العلوم معرفة النفس والعلم بأمراضها وما يهلكها وينجيها . ولا بد من مراعاة آداب وشرائط تحصيل العلم والابتعاد عن مفاسده من الحرص والطمع والحسد .

وان كان من أهل الحرف والصنائع أو التجارة أو الزراعة ، فليشتغل بها مع مراعاة الآداب والشروط المذكورة في القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ومن المناسب أن نذكر هنا بعض الآداب بشكل موجز ليكون طريقاً ونجاة لأهل التجارة والصناعة والزراعة واصحاب النعم .

الدنيا وما فيها وسيلة إلى الآخرة

المال والجاه والدنيا بشكل عام كالسلم يمكن الصعود عليه وكذا النزول ، فالمال والجاه يمكن أن يكون وسيلة للصعود في درجات الجنة والتقرب من الحق تعالىٰ ، وقد يكون وسيلة كذلك للهبوط في درجات النار والابتعاد عن الحق جل وعلا .

---

(١) راجع كتاب الوسائل : الأطعمة والأشربة ، أبواب آداب المائدة ص/٤٠٥ وما بعدها .

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم : ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا**﴾ (١) .

وفي حديث شريف عن رسول الله (ص) يشرح فيه ما ينفق في سبيل الله وما ينفق في سبيل الهوى حيث يقول :

«من أصاب مالاً حلالاً فكف به وجهه ووصل به رحمه وقضى به دينه وأقام به على جاره لقي الله يوم القيامة ووجهه كضوء القمر ليلة البدر ، ومن أصاب مالاً حراماً وكان مكاثراً مفاخراً مرائياً لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان» .

الآفات العشر للمال والجاه

هناك آفات لكل من المال والجاه والدنيا ، فمن سلم منها نال السعادة الأبدية ، وهذه الآفات والأمراض كما يلي :

الأول . الطغيان ونتيجة الغفلة والابتعاد عن الحق جل وعلا يقول الله عز وجل ﴿**ان الانسان ليطغىٰ أن رآه استغنى**﴾ (٢) .

الثاني : البغي ، وهو الظلم والافساد بين عباد الله عز وجل كما يصرح القرآن المجيد بذلك : ﴿**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض**﴾ (٣) .

الثالث : الإعراض عن الله تعالى واليوم الآخر ﴿**واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأىٰ بجانبه**﴾ (٤) .

الرابع : الكبر والعصبية كما كان لدىٰ فرعون حيث قال ﴿**أليس لي ملك**

(١) القصص /٧٧
(٢) العلق /٦ .
(٣) الشورى /٢٧ .
(٤) الاسراء /٨٣ .

مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾ [1] .

الخامس : التفاخر ، بأن يفتخر على أقرانه ﴿وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ [2] .

السادس : التكاثر بحيث يؤدي إلى الغفلة عن ذكر الله عز وجل ﴿ألهاكم التكاثر﴾ [3] .

السابع : اللهو والانشغال بالأمور المادية بحيث يضيع عمره الثمين في جمع الأموال وحفظها وكيفية التصرف بها في المجالات الدنيوية ، وتحصيل اللذات النفسانية والمنافع الحيوانية ﴿سيقول لك المخلّفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا﴾ [4] .

الثامن : البخل ، فيمتنع من الانفاق الواجب نظير الزكاة والصدقة ومساعدة الأخوة وصلة الرحم واجابة السائل واكرام الجار والضيف وتوسعة النفقة على العيال وأمثال ذلك .

التاسع : التبذير ، وهو الافراط في زخرف الأموال بما يخالف أوامر الشرع والدين واتلاف الأموال في طلب الجاه والمنصب ، والسخاء لأجل الاشتهار والسمعة ومدح الناس والإنفاق على السفهاء والظالمين والفساق ، والافراط في المأكل والملبس والبناء والأثاث وأنواع الزينة ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ (آل

---

(١) الزخرف / ٥١ .

(٢) الحديد / ٢٠ .

(٣) التكاثر / ١ .

(٤) الفتح / ١١ .

عمران / ١٤) . التي لا أثر لها غير البعد عن الحق **﴿إن المبذّرين كانوا اخوان الشياطين﴾** [١] .

العاشر : الغرور : وهو التعلق بالدنيا ونسيان الآخرة والحساب والصراط والثواب والعقاب ، والجهل بعظمة الله وغضبه والاغترار بكرمه ورحمته بدون عمل الطاعات أو ترك المعاصي .

هذه آفات حب المال والجاه والدنيا ، وهي سبب فتنة وامتحان لأصحابها كما ذكر ذلك القرآن الكريم **﴿انما اموالكم وأولادكم فتنة﴾** [٢] .

علاج الآفات العشر

وأما الصفات العشر التي تضاد ما ذكرناه :

الأولى : علو الهمة يعني أن يجعل هدفه أسمى من الأمور واللذائذ المادية ، فلو ملك الدنيا بأجمعها لما أدّى ذلك إلى تكبره على الآخرين أو إلى فرحه به فيطغى بل يعلم أن كل شيء ملك لله تعالى .

الثانية : العفة حتى لا يظلم نفسه أو يلحق الأذى بغيره .

الثالثة : التوجه إلى الله عز وجل فيرى نفسه وأمواله كلها لله عز وجل فينصرف عن حبها إلى حب الحق جل وعلا ، بل يعادي غير الله تعالى [٣] لأن التعلق بها يصرفه عن الحبيب الحقيقي .

الرابعة : الشكر ، فشكر الجسد بالعمل ، وشكر القلب بالايمان ، وشكر اللسان بقول «الحمدلله» ونشكر المال بالانفاق له في طاعة الله .

الخامسة : التواضع .

---

(١) الاسراء /٢٧ .

(٢) التغابن /١٥

(٣) ﴿ فإنهم عدوّ لي إلاّ رب العالمين ﴾ [الشعراء ٧٧] .

السادسة : السخاء والكرم .

السابعة : التخلية ، والمقصود من التخلية أن يفرغ قلبه لحب الحق تبارك وتعالى ، ولا يكون المال والجاه مانعاً له عن ذكر الله عز وجل ، كما ذكر ذلك القرآن الكريم حيث يقول ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**﴾ (١) .

الثامنة : التقوى ، فيحذر المال الحرام والمشبوه ، ويخالف الشهوات الرخيصة والاخلاق الدنيئة ، ويؤدي الواجبات الآلهية ولا يخالف التعاليم الدينية ﴿**إن أكرمكم عند الله اتقاكم**﴾ (٢) .

التاسعة : القَوَام ، ويعني اتخاذ الحد الوسط في صرف المال فلا اسراف ولا تقتير ، فالاسراف في المأكل والملبس وامثالها أن ينفق عليها من المال أكثر من المعقول وبخلاف رضا الله عز وجل .

والتقتير ، هو أن يضيق على نفسه وعلى أهله في موضع الانفاق ويكون أيضاً مخالفاً لرضى الله عز وجل .

﴿**والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾ (٣) .

العاشرة : التسليم والرضا ، فتسليم النفس والمال يكون بأن لا يرى نفسه مالكاً لشيء بل هو وكيل في الإنفاق، والناس عيال الله فينفق المال عليهم كما يأمر به صاحب المال الحقيقي ، ولا ينظر إليهم باحتقار ولا يمن عليهم بل لهم المنة عليه أن قبلوا احسانه .

وأما الرضا ، فهو أن يرضى بكل ما قسمه الله تعالى له ولا يعترض على أي حكم إلهي على نفسه وماله ، صبور في البلاء ، لا تخدعه النفس بأمانيها أو

---

(١) النور /٣٧ .
(٢) الحجرات ١٣ .
(٣) الفرقان ٦٧

يغره الشيطان بمكره، بل يكون مستسلماً بروحه ومستعداً لتسليمها في أي وقت، فلو بقي له مال أوقفه على وجوه البر والخيرات ، فإن كل حي بدون طاعة فهو ميت ، وكل مطيع ولو بعد الموت فهو حي .

التاجر الأمين مع رسول الله | ص |

وأما التجار ، فإن كان التاجر صادقاً وأميناً فإن الصادق (ع) يقول : «التاجر الصدوق مع السفرة الكرام البررة يوم القيامة» (١) .

الشرط الأول : في التجارة التي تنفعه لآخرته أن يكون تقياً ويعتقد بأن المال مال الله ويتصرف فيه بأمر الله ورضاه فكلما ربح شيئاً انفقه كما يأمره الله عز وجل على عباده ومن جملتهم أهله وأولاده .

الثاني : أن يراعي الانصاف في البيع والشراء ولا يكون صعباً في المعاملة فقد روي عن رسول الله (ص) انه قال : «ان الله تبارك وتعالى يحب العبد يكون سهل البيع سهل الشراء ، سهل القضاء سهل الاقتضاء» (٢) .

ولا ينبغي ان يحلف على البيع والشراء سواء كان صادقاً أو كاذباً فإن الله تعالى يبغض المكثر في القسم (٣) .

وأيضاً يكتفي بربح قليل فإن البركة مع القناعة والأمانة (٤) . وان لا يذم المتاع عند شرائه ولا يمتدحه ويغطي عيبه عند بيعه .

قدم لنفسك اليوم ما ينفعك في ذلك اليوم

ينبغي أن يعيش كأنما قد حان وقت رحيله إلى الآخرة فيرسل ارباحه

---

(١) وسائل الشيعة ، كتاب التحارة ، الباب ٢ من أبواب آداب التجارة ح /٧ .
(٢) ن . م آداب التجارة ، الباب ٤٢ ح ٢
(٣) ن م آداب التجارة ، الباب /٢٥
(٤) ن . م. آداب التجارة ، الباب /١٠ .

ورأس ماله قبله حتى يلحقها هو أيضاً . وكالتاجر الذي أرسل ماله قبله وبقي ينتظر دوره بفارغ الصبر . يعني أن ينفق الأرباح التي يكتسبها في الخيرات فهو في الحقيقة انما يوفرها لنفسه ، ومن الطبيعي أن لا يكون ممن يكنز الأموال ويجمعها فإن ذلك يكون سبباً في تعذيبه بها . **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾** (سورة التوبة الآية ٣٤) .

واذا دنت منه الوفاة يوقف كل ما بقي من امواله وممتلكاته بعد أن يعطي لأهله وأقربائه ما يكفيهم ، ويجعل الباقي صدقة جارية في سبيل الله وينتفع من أمواله فائدة حسنة لا أن يتعب هو ويستفيد الآخرون من تعبه .

وينبغي تزكية النفس وطلب الآخرة : أن يسعى إلى تزكية نفسه فلا يخالط الأشخاص المنحرفين ، ولا ينحرف عن الصراط المستقيم ، ولا يختار الدنيا على الآخرة بل يكون ذاكراً لله دائماً وللآخرة طالباً .

فلو تخلق بهذه الأخلاق والآداب ، لكانت كل خطوة يخطوها في معاملاته خطوة تقربه من الله عز وجل وترفع درجته .

وفي مقابل ذلك ، التجارة التي تكون من أجل الربح الدنيوي فغالباً ما تكون نتيجتها التعب والإثم وربحها خسارة وضرراً وزيادتها نقصاناً .

اصلاح النية لدى التجار :

اذا كانت نية الكاسب أو صاحب الصنعة خيرة بأن يقصد الخدمة لعباد الله وقضاء حاجاتهم ، فمن الطبيعي أن يكون عمله مبنياً على أساس صحيح ، فيستفيد من عمره لآخرته ، فلو أن كل انسان لم يختر عملاً خاصاً به ليخدم به الآخرين ، بل اراد أن يخدم نفسه بنفسه في كل الأمور ، لما استطاع ذلك ولتعطلت أموره الدينية والدنيوية ولم يسعه الوقت للعبادة .

فمن هنا اقتضت الحكمة الالهية بأن يختص كل شخص بخدمة معينة

ومن ذلك أهل الحرف والمهن والصناعة الذين لولاهم لما انتظمت امور المجتمع .

نصائح للمهنيين والتجار :

يجب أن يعمل أهل الحرف والصنائع وفق الأمر الآلهي ، فيؤدوا الأمانة ويبتعدوا في كسبهم عن المال الحرام والمشبوه ولا يطففوا في المكيال والميزان ، ولا يتعاملوا مع من يكون ماله من حرام اللهم إلا اذا كان لا يعلم حرمته .

وأن لا يخفي عيب متاعه ويراعي الانصاف ولا يأخذ ثمناً أكثر من ثمنه الواقعي ان كان المشتري لا يعرف قيمته ويحذر من الغش والخداع .

روي أن رسول الله (ص) مرّ على «حبرة» طعام فأدخل يده فيها فنالت اصابعه بللاً ، فقال :

ـ ما هذا يا صاحب الطعام ؟

قال : اصابته السماء يا رسول الله .

قال (ص) : أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ ! من غشّنا فليس منّا[1] .

الحطّاب جليس النبي داود (ع)

يجب على الانسان أن يسعى لإيصال النفع إلى الفقراء من كسبه وعمله ، روي أن داود (ع) قال في مناجاته مع الله عزّ وجل : إلهي أحب أن أرىٰ رفيقي في الجنة . فأوحي إليه أن اخرج غداً خارج البلدة فأول شخص تراه فهو رفيقك في الجنّة .

فلما خرج داود من المدينة رأىٰ حطاباً يحمل الحطب فسأله عن أمره

---

(١) ميزان الحكمة ح ٧ ، ص ٢٢٢ . ورواه مسلم وابن ماجه

فقال : إنني أذهب كل يوم لجمع الحطب ثم أبيعه في المدينة بدرهم ، ولي أم اعطيها من الدرهم ثلثه ، وثلث لنفقة عيالي والثلث الباقي أتصدق به على الفقراء .

فقال داود (ع) : أنت جدير بأن تكون رفيقاً للانبياء . ثم قال له : تعال إليّ في كل يوم حتى أعطيك درهماً لتكون رفيقي في الدنيا كما في الآخرة . فقال الفقير : لقد حصلت على هذه المنزلة لأني أعمل واكتسب فلو تركت عملي لفقدت هذه المنزلة فلا بد أن استمر على عملي وأقوم بخدمة عباد الله حتى يحين أجلي .

وأن ليس للانسان إلا ما سعى

ان الله عز وجل ارشد عباده للوصول إلى هذا المقام فقال ﴿**يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم**﴾ (١) .

وقال رسول الله (ص) : اطيب ما يأكل الرجل من كسب يده فإن لم يعمل صاحب المال والكسب والتجارة بما ذكر لكان الضرر من نصيبه وماله في الاخرة من نصيب .

وعلى كل حال فإن كل إنسان يسعىٰ لأداء وظيفته ويواصل الطاعة والعبادة والسهر ليلاً ويطهر القلب من حب الدنيا ويقلل من الأكل ويجاهد النفس ويصفيها ويزكيها مهما وسعه ذلك ، فإنه ينتفع من عمره بما يوجب له السعادة الدائمة وكلما ازداد سعيه انتفع بثمار سعيه اكثر . قال الله سبحانه وتعالى : ﴿**فإن الله لا يضيع اجر المحسنين**﴾ (٢) .

وقال رسول الله (ص) : «اجرك على قدر سعيك وتعبك» .

---

(١) البقرة / ٢٦٧ .

(٢) يوسف / ٩ .

اذا لم تكن رابحاً فلا تكن خاسراً

الانسان بالنسبة إلى الدين إما أن يكون سالماً وهو من أدّى الواجبات وترك المحرمات ، وإما أن يكون رابحاً وهو من عمل اضافة إلى ذلك بالمستحبات وسائر القربات التي تقربه إلى الله تعالى ، أو يكون خاسراً وهو المقصر في الواجبات فلو لم تكن رابحاً فلا تكن خاسراً .

اذا لم تكن ملكاً فلا تكن عقرباً

وبالنسبة إلى الآخرين فالانسان أيضاً على ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون بمنزلة الملائكة باذلاً جهده وسعيه في سبيل اسعاد الآخرين وايصال الخير لهم وقضاء حوائجهم .

الثاني : ان يكون بمنزلة البهائم والجمادات فلو لم يصل منه خير إلى الآخرين فكذلك لا يصدر عنه شر واذى لهم .

الثالث : أن يكون بمنزلة الوحوش والحيات والعقارب من الحيوانات والحشرات المؤذية فلو لم تكن بالنسبة للآخرين كالملائكة فحاول أن لا تكون مؤذياً لهم كالحيوانات المفترسة والحشرات المؤذية .

الاهتمام بصلاة الظهر

وبعد الانتهاء من عمله في الكسب أو غيره عليه أن يهيء نفسه قبل الزوال لصلاة الظهر وإن أمكنه أن ينام قليلاً قبل الظهر (نوم القيلولة) فليفعل ثم بعد ذلك يتوجه إلى المسجد لاداء فريضة الظهر جماعة .

ففي الحديث : «اذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء وأبواب الجنان واستجيب الدعاء فطوبى لمن رفع له عند ذلك عمل صالح» (١) .

---

(١) الوسائل : الصلاة ، الباب ١٢ من ابواب المواقيت ، ح /٢ .

ثم يؤدي صلاة الظهر والعصر مع رعاية آدابها وما ذكر في المطلب الثالث .

وبعد الفراغ من الصلاة يشتغل بكسب المعيشة إن كان محتاجاً مع رعاية ما ذكرنا من الآداب إلى قبيل المغرب .

فإن استطاع أن يذهب إلى المسجد قبل الغروب ويشتغل هناك بالتسبيح والاستغفار فليفعل فقد قال سبحانه وتعالى **﴿وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾** (١) .

ثم يؤدي صلاة المغرب مع رعاية آدابها ، وبعد الفراغ منها ومن أي صلاة كانت تأتي بتسبيح الزهراء (ع) ، وبعد ذلك بنافلة المغرب وصلاة العشاء ونافلتها ، وكذلك التعقيبات أيضاً ، وفي ساعة من الليل يجلس على طهارة مقابل القبلة ويشتغل بالذكر وقراءة العلوم الأخروية .

مراعة آداب النوم :

فإن غلبه النعاس نام على جانبه الأيمن إلى جهة القبلة ويقرأ الأدعية الواردة (٢) . وخاصة تسبيح الزهراء (ع) وآية الكرسي وآخر سورة الكهف (٣) . ففي الحديث الشريف عن رسول الله (ص) «من قرأ هذه الآية عند منامه قل انما أنا بشر إلى آخرها سطع له نور إلى المسجد الحرام حشو ذلك النور ملائكة

---

(١) سورة ق ٥٠ ، الآية ٣٩ .

(٢) اللهم اني اسلمت نفسي اليك ووجهت وجهي اليك وفوضت أمري اليك وألجأت طهري إليك توكلت عليك رهبة منك ورغبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت وبرسولك الذي أرسلت .

(٣) **﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾** . الكهف الآية ١١٠ .

يستغفرون له حتى يصبح »[1] .

وفي رواية اخرى عن الامام الصادق (ع) :

«ما من عبد يقرأ آخر الكهف عند النوم إلا استيقظ في الساعة التي يريد[2] » . وهذا الموضوع من المجرّبات ولا شك في انه يستيقظ في الوقت الذي يريد .

توصيات قبل النوم

ومن جملة الأمور التي ينبغي على المؤمن المواظبة عليها عند النوم أن يذكر نفسه قبل النوم بأمور وهي :

أن يبتدىء أولاً بتذكر أن النوم أخو الموت واليقظة من النوم مثل البعث يوم القيامة ، فيجب أن ينام وهو مصمم على ترك الذنوب وينوي مساعدة الناس إذا أرجعه الله عز وجل وأبقاه .

الثاني : أن يصمم على الانتباه قبل اذان الفجر للتهجد الذي هو من المستحبات الأكيدة وذكر الأخبار الواردة في فضيلة التهجد يوجب طول الكلام .

مجاهدة النفس ومقاماتها

اذا عمل الشخص بما ذكر في هذه الأوراق ، وداوم على مجاهدة نفسه ولم يتركها تعمل بالأهواء ، كان في مقام التجلية والتخلية والتحلية ، **فالتجلية** تعني أن يجلو الانسان باطنه بامتثاله لأوامر الشرع المقدس والعمل بجميع احكامه ، **والتخلية** تعني أن يجعل باطنه خالياً من الرذائل والأخلاق الفاسدة ، **والتحلية** هي أن يحلّي ويزين باطنه بمحاسن الأخلاق ، فعند ذاك يؤمل فيه النجاة

---

(١) تفسير الصافي ج ٣ ، ص ٢٧٠ .

(٢) تفسير الصافي ج ٣ ، ص ٢٧٠ .

والفلاح كما وعـد الله عز وجـل : ﴿**الذين آمنـوا وعملوا الصالحـات طوبى لهم وحسن مآب**﴾ (١) .

وكلما أحسّ من نفسه تعباً وكسلاً في مقام العمل ، ذكّرها بأن أيام الدنيـا معدودة ، وخاصة بالنسبة إلى الآخرة ، وأن اليـوم يوم الـزرع وغداً يـوم الحصاد فكلما زرع أكثر كان حصاده أكثر .

---

(١) الرعد / ٢٩

ختامه مسك

التمسك بأهل البيت (ع) طريق النجاة :

من أراد السفر إلى الله وسلوك الطريق الإلهي والوصل إلى حظيرة الدين والايمان والاقتباس من العلم والمعرفة والتقرب إلى الرب الرحيم فلا بدّ أن يتمسك بأهل البيت عليهم السلام ويقتدي بهم ويجهد على أن تكون افعاله وصفاته وفق افعالهم وصفاتهم ويعمل بما أمروا به في سلوك هذا الطريق ، لأنهم أهل الذكر الذين أمرنا الله عز وجل بالسؤال منهم **﴿فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾** [(١)] .

يقول الامام الباقر (ع) : (من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو ، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع) [(٢)] .

حديث الامام الصادق (ع) لعنوان البصري

ومن الأحاديث الجامعة لارشادات أهل البيت (ع) في سلوك هذا الطريق هو الحديث المروي عن الامام الصادق (ع) يرشد به عنوان البصري . والحديث كله مذكور في المجلد الأول من كتاب بحار الأنوار[(٣)] وكتاب مشكاة الأنوار نذكر منه موضِع الحاجة اختصاراً .

---

(١) الأنبياء / ٧ .

(٢) اصول الكافي : ٢/٧٤ ـ ٧٥ .

(٣) البحار ج ١ ص ٢٢٤ ، ح ١٧

أما عنوان البصري فقد كان شيخاً أشرف على الرابعة والتسعين من العمر وقد درس عند مالك (أحد أئمة أهل السنة) فقال : دخلتُ على الامـام الصادق (ع) لأنتفـع بعلمـه ، فقـال لي الامـام : مـا تـريـد ؟ قلت : طلبت من الله أن يعطف قلبك علي ويرزقني من علمك وارجـو أن يكون قـد استجاب لي ، فقـال (ع) :

ـ يا أبا عبدالله (عنوان البصري) ليس العلم بالتعلم (العلم بالله وصفاتـه واسمائه وعلم الآخرة واحوالها) انما هو نور يقع في قلب من يريد الله ان يهديه ، فإن اردت العلم (بالله وبالآخرة) فاطلب أولاً في نفسك حقيقة العبوديـة واطلب العلم باستعماله واستفهم الله يفهمك .

حقيقة العبودية ثلاثة أشياء :

قلت : يا أبا عبد الله وما حقيقة العبودية ؟

قال (ع) : ثلاثة أشياء :

١ ـ «أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله الله ملكاً لأن العبيد لا يكـون لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله» .

٢ ـ « ولا يدبر العبد لنفسه تـدبيراً » (أي أن لا يفكـر بالمصلحـة ويعترض عـلى قضاء الله وقدره بل يرضى بكل ما قسم الله تعالى) .

٣ ـ «وجملة اشتغاله فيما أمره الله به ونهاه عنه» . ثم يذكر الامـام (ع) آثار كل واحد من هذه الصفات الثلاث .

«فـإذا لم يـر العبـد لنفسـه فيـما خـوّلـه الله ملكـاً فـإن عليـه الإنفـاق فيـما أمــره الله تعـالى أن ينفق فيه ، واذا فـوّض العبد تـدبير نفسـه على مـدبره هـانت عليه مصـائب الدنيـا ، واذا اشتغل العبـد بما أمـره الله تعالى ونهاه لا يتفـرغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس .

فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هانت عليه الدنيا وابليس والخلق ، ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً ، ولا يطلب ما عند الناس عزّاً وعلوّاً ، ولا يدع أيامه باطلاً» .

وفي مصباح الشريعة يقول (ع) : واما المهمل لأوقاته فهو صيد الشيطان لا محالة .

ثم يقول (ع) في حديثه : « فهذا أول درجة التقوى قال تعالى : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾[1] .

طلب العلو علامة بقاء الجهل

من كان يريد العلوّ في الأرض ويطلبه فهذا علامة على جهله بحقيقة الدنيا ولا يليق بجوار رب العالمين .

روي عن أمير المؤمنين (ع) انه قال : إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها (أي تحت هذه الآية الشريفة) [2] .

ولهذا كان الامام الصادق (ع) عندما يقرأ هذه الآية الشريفة يبكي ويقول : ذهبت والله الأماني عند هذه الآية [3] .

وكان أمير المؤمنين يأتي إلى سوق الكوفة ويفتح القرآن ويقرأ على الباعة هذه الآية . ويقول : نزلت في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس [4] .

---

(١) القصص ٨٣ .

(١) تفسير الصافي ج ٤ ، ص ١٠٦ .

(٢) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

فعلى هذا اذا رأى نفسه عبداً فلازم هذه العبودية ان لا يعلو في الأرض ولا يتكبر ولا يفتخر بما اعطي له من أمور هذه الدنيا الفانية المسترد منه بالموت أو قبل الموت ، ويتجنب الظلم والفساد .

الامام أمير المؤمنين (ع) يقول « والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته »[١] .

وصايا الامام | ع | لطلاب الكمال

ثم ان عنوان البصري قال : يا أبا عبد الله أوصني . قال (ع) : «أوصيك بتسعة أشياء فإنها وصيتي إلى مريدي الطريق إلى الله ، ثلاثة منها في رياضة النفس ، وثلاثة منها في الحلم ، وثلاثة منها في العلم .

أما اللواتي في الرياضة فإيّاك أن تأكل ما لا تشتهيه فإنه يورث الحماقة والبله ، ولا تأكل إلا عند الجوع ، واذا أكلت فكل حلالاً وسمّ الله تعالى واذكر حديث رسول الله (ص) : «ما ملأ آدميّ وعاءاً شراً من بطنه، فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» .

توضيح : المراد من الرياضة هو ترويض النفس ومنعها عن اتباع الشهوة والغضب وما يرتبط بهما مثل البخل والحرص والخداع والغيبة والتعصب والحقد والحسد والفجور ، وهذه هي المرتبة الأولى .

وأما المرتبة الثانية لترويض النفس فهي أن يجعلها مطيعة للعقل بحيث «تصبح اطاعة العقل عنده ملكة وطبعاً فلا يرغب إلّا في الأمور الباقية والدائمة ، وهي عبارة عن الأعمال الصالحة وانفاق المال والعمر في سبيل الله ، ولا يزهد إلا في الأمور الفانية التي تعقبها الحسرة والندامة ، وهي عبارة عن كل عمل وقول ليس لله تعالى .

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ٢٢٤ .

لماذا تفرط بالعمر العزيز للمال الفاني

«قال أحد العلماء : ان العمر عزيز وغالٍ جداً ، والمال يكتسب بمشقة فلا أعلم ماذا حلّ بالناس اذ يصرفون عمرهم وأموالهم في أمور لا تبقى معهم ولا نفع فيها سوى هذه اللذة المؤقتة في الدنيا فعجب لجهلهم واسرافهم .

يا حبيبي ، كل ما أمكنك أن تفعل في سبيل الله ومن أجله فافعل ولا تخلف ولو كان فيه بذل النفس ، وما كان لغير الله فلا تفعل ولو كان فيه بذل النفس ، واعلم أن أكثر الناس على غير هذا الطريق ، فيحسبون كثير ما ينفقونه في سبيل الهوى قليلاً ، وقيل ما ينفقونه في سبيل الله كثيراً .

أكثر الناس على ضلال بشهادة القرآن الكريم حيث يقول : **﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله﴾** [1] .

أيها الأخوة : افرحوا بوعد الله واسلكوا هذا الطريق بنشاط وحيوية فإن الله لا يخلف الميعاد .

إن كلَّ ما يأكله الانسان فهو بمنزلة البذر لسعادة الروح . والامام الصادق (ع) يوصينا في هذا الحديث بقلة الأكل وحلاليته ، وفي كتاب الكافي حديث عن الامام الباقر (ع) انه قال :

«ما من شيء أبغض إلى الله عز وجلّ من بطن مملوّ» [1] .

ثلاث وصايا في الحلم

يقول الامام الصادق في حديثه لعنوان البصري :

«وأما اللواتي في الحلم ، فمن قال لك إن قلت واحدة سمعت عشراً

---

(١) الوسائل : الأطعمة والأشربة الباب ٤ من أبواب آداب المائدة ، ح/٢

فقل : إن قلت عشراً لم تسمع واحدة . ومن شتمك فقل لـه : إن كنت صادقـاً فيما تقول فاسأل الله أن يغفر لي ، وان كنت كاذباً فيما تقـول فاسـأل الله أن يغفر لك ، ومن وعدك الخناء (ضرب وتهديد) فعده بالنصيحة والرعاء .

وثلاثة أخرى في العلم

وأمـا اللواتي في العلم فاسـأل العلماء ما جهلت ، وايـاك أن تسألهم تعنتـاً وتجربة ، وايـاك أن تعمل بـرأيك وخـذ بالاحتيـاط في جميع مـا تجد لله سبيـلاً ، واهرب من الفتيا هربك من الأسد ولا تجعل رقبتك للناس جسراً» .

انتهى والحمدلله رب العالمين

الأسئلة المربوطة بتفسير آيات القرآن

إنا أنزلناه في ليلة القدر

س ١ هل ان القرآن نزل على الرسول (ص) في ليلة واحدة أو بالتدريج ؟ اشرحوا لنا ذلك بالتفصيل ؟

ج : الآية الشريفة المذكورة ، والآية الشريفة ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**﴾ وآية ﴿**إنا أنزلناه في ليلة مباركة**﴾ ظاهرها هو أن القرآن الكريم أنزل دفعة واحدة في شهر رمضان في ليلة القدر على رسول الله (ص) ولكن ظاهر الآية الشريفة : ﴿**وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا**﴾ (١) هو ان القرآن الكريم نزل على رسول الله (ص) بالتدريج ، ونزوله التدريجي من المتواترات المسلمة طيلة مدة البعثة وهي ثلاثة وعشرون سنة . وبما أن هناك تنافي بين ظاهر الآيات الأولى والآية الأخيرة ، فقد ذكر المفسرون وجوهاً لذلك وافضلها ما ورد عن الامام الصادق (ع) في الكافي (٢) عن حفص بن الغياث عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وانما أنزل في عشرين سنة بين أوله وآخره ،فقال أبو عبدالله (ع) : «نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثم نزل في طول عشرين سنة» .

وقد احتمل بعض المفسرين أن نزول القرآن الكريم في المرتبة الأولى لم يكن

---

(١) الإسراء /١٠٦

(٢) اصول الكافي /٢/٦٢٩ .

بهذه الألفاظ الشريفة بل أن الذي نزل مرة واحدة على قلب رسول الله (ص) هو حقيقة القرآن الكريم الذي يكون ادراكه فوق عقول البشر العاديين . ثم جرى بالتدريج على لسانه الكريم بهذه الكلمات والحروف في مدة العشرين سنة وذكروا لذلك شواهد من القرآن الكريم فمن اراد التحقيق عليه مراجعة الجزء الثاني من تفسير الميزان .

س٢ : لماذا لم يرتب القرآن بالشكل الذي نزل به ؟

ج : لا شبهة في أن جمع القرآن بهذا النحو الموجود مع عدم مراعاة التقدم والتأخر بحيث جعلت بعض الآيات النازلة في أواخر البعثة في المدينة جزءاً من بعص سور مكية . وبعض الآيات التي نزلت في مكة جزءاً من بعض السور المدنية وكذلك تقديم الآيات الناسخة على المنسوخة وغير ذلك ، فإنه وان لم يؤثر شيئاً على فصاحة وبلاغة القرآن أو في بيان احكامه وتشريعاته ، إلا أنه أحد النقائص التي أصيب بها المسلمون بسبب انحرافهم عن أهل البيت عليهم السلام مع أن رسول الله (ص) قال (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي) وهو متفق عليه بين العامة والخاصة . وتوضيح ذلك : أن المسلمين بعد رسول الله (ص) اردوا جمع القرآن وترتيبه ، وكان الرجل الوحيد الذي له اطلاع تام بآيات القرآن وكيفية نزولها وتقدمها وتأخرها هو أمير المؤمنين (ع) لأنه كان ملازماً لرسول الله (ص) من أول البعثة إلى زمان وفاته (ص) سواء في السفر أو الحضر ، وكان أقرب الناس اليه، وكان من دعاء رسول الله (ص) لأمير المؤمنين أن رزقه الله تعالى حافظة قوية بحيث كان يحفظ كل كلمة يسمعها إلى آخر عمره كما جاء ذلك في الآية الشريفة : ﴿**وتعيها اذن واعية**﴾ (١) وقد فسرت هذه الآية(٢) بأن المراد منها هو أمير المؤمنين (ع) باتفاق العامة والخاصة ، وقد نقل العلامة الحلي (ره) عن الحافظ أبو نعيم وتفسير الثعلبي في تفسير الآية الشريفة ﴿**قل**

(١) الحاقة / ١٠ .

(٢) راجع للاطلاع دلائل الصدق للمظفر المجلد الثاني ص / ١١٠ وما بعدها .

كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ [1] باب المراد بمن عنده علم الكتاب هو الامام علي (ع) ، وقد جلس الامام (ع) في بيته بعد وفاة رسول الله (ص) ولم يخرج من بيته ولم يرتد الرداء إلا للصلاة حسب ما أوصاه رسول الله (ص) ، واهتم في تلك المدة بجمع القرآن وترتيبه ، وبما أنه جمعه للقرآن كان مطابقاً لكيفية نزوله فلما أتى به إلى المسلمين قال المخالفون والمغرضون إننا لا حاجة لنا بقرآنك هذا فلذلك ابقاه عنده ، وهو الآن عند ولده المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف .

وقتلهم الأنبياء بغير حق

س٣ : **الوجه المقابل لذلك هو جواز قتلهم اذا كان بحق ، وهو ينافي عصمة الأنبياء (ع) ؟**

ج : ذكر لهذا السؤال جوابات :

الأول : ان المرتكبين لجناية القتل على قسمين : فتارة يرتكبون هذه الجناية ويرون انفسهم انهم محقون في ذلك ويعتقدون بصحة عملهم لشبهة أو تصور فاسد ، وتارة يقتلون وهم يعلمون أنهم على باطل وأن عملهم هذا بغير حق وبسبب العناد والطغيان ولا شك في أن اثم الثاني اشد كثيراً من الأول وعقوبته أعظم، وقتلة الأنبياء من القسم الثاني أي قتلوا الأنبياء وهم يعلمون أن قتلهم بدون حق ، وعلى كل حال ففي الوقت الذي يكون قتل الأنبياء بغير حق واقعاً يكون كذلك أيضاً في نظر المرتكبين لهذه الجناية .

الثاني : ان الصفة والقيد على قسمين : فتارة تكون صفة لازمة أي تكون في جميع الحالات مع الموصوف ، وتارة تكون الصفة مفارقة أي تأتي مع الموصوف في بعض الحالات دون بعض ، فعندما تذكر صفة لازمة للموصوف ، يكون الغرض من ذكرها التأكيد والزيادة في التوضيح ولا شك أن صفة «بغير حق»

(١) آخر سورة الرعد راجع لزيادة الاطلاع المصدر السابق ص /١٣٤ وما بعدها .

هي صفة لازمة ودائمة لقتل الأنبياء ، فلا يكون لها مفهوم وهو أن قتلهم قد يكون بحق في بعض الأحيان . اضافة إلى أن الوصف ليس له مفهوم مطلقاً كما هو ثابت في علم الأصول .

ادعوني استجب لكم

س ٤ : لقد جاءت هذه الآية الشريفة مطلقة وبدون ذكر أي شرط ، فلماذا لا تستجاب أكثر الادعية مع مراعاة الشروط المذكورة في الروايات أيضاً ؟ اذكروا لنا سبب ذلك .

ج : لا شك أن الله سبحانه وتعالى عندما يعد بشيء فإنه سوف يتحقق ذلك حتماً وأن الله تعالى يعطي لكل من يطلب منه أي شيء يريده منه كما وعد بذلك ، ولكن بشرط أن يكون ذلك صلاحاً له ، والا فإن اعطاء الشيء الذي يكون مخالفاً لمصلحة العبد لا يكون رحمة له ورأفة به ، ومن الواضح أن الانسان لا يستطيع أن يدرك صلاحته لأنه لا يعلم بجميع المصالح والمفاسد «عسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم» فعندما يطلب الانسان شيئاً فإن كان ذلك صلاحاً له فإن الله سوف يعطيه ذلك الشيء حتماً ، وأن لم يكن صلاحاً اعطاه ما هو صلاح له أو يعوضه عنه في الآخرة فإن قيل ان الله تعالى يرزق الانسان جميع الأمور التي فيها صلاح ذلك الانسان سواءاً طلب ذلك أو لم يطلب فلماذا الدعاء ؟ نقول ان الأمور التي يكون فيها الصلاح على قسمين : فبعضها حتمي والبعض الآخر متوقف على الطلب والسؤال ، وبما أن تشخيص ذلك لا يكون بيد العبد وجب عليه الدعاء في جميع الأمور . فإن كان ذلك الأمر متوقفاً على الدعاء فسوف يرزق الله ذلك ، وان كان من الأمور الحتمية الوقوع من دون حاجة للدعاء كتب الله له ثواب الدعاء الذي هو أفضل العبادات وكذلك يجب أن يعلم أنه تارة يستجاب الدعاء ولكن تكون المصلحة في تأخيره ، أو يؤدي احتياجه الشديد إلى الله تعالى أن يدعو ويتقرب اليه أكثر فينال عطاءاً أكبر كما ورد ذلك في الكافي عن الامام الصادق عليه السلام: انه قال: «ان المؤمن ليدعو الله عز

وجل في حاجته فيقول الله عز وجل : اخروا اجابته ، شوقاً إلى صوته ودعائه»[1] .

وأما ما ذكر في السؤال من ان الدعاء لا يستجاب في بعض الأحيان مع توفر جميع الشروط المذكورة له فهذا اشتباه محض ومنشؤه الغفلة عن حقيقة شروط الدعاء والغفلة عن أن الدعاء الذي يشتمل على جميع الشروط قليل جداً . ولو تحقق ذلك لكان تأخر الاستجابة مستحيلاً ، فمثلاً من جملة الشرائط المهمة في الدعاء والتي يغفل عنها في أغلب الأحيان هو الاخلاص في الدعاء ، بمعنى أن الشخص الداعي يجب أن لا يرى غير الله تعالى مؤثراً ودخيلاً في تحقق ذلك الأمر ويكون توجهه القلبي إلى الله تعالى فقط ، لأنه تعالى يقول في الآية الشريفة «ادعوني» ولا تدعوا غيري وكذلك يقول : **﴿اجيب دعوة الداع اذا دعان﴾** أي اذا دعاني فقط ولم يدع معي غيري ، وهذه الحالة هي المعبر عنها بالانقطاع إلى الله والاضطرار اليه ،التي وعد بالاستجابة عندها كما في الآية الشريفة **﴿امَّن يجيب المضطر اذا دعاه﴾** .

والاضطرار على قسمين : تكويني وتكليفي ، فالاضطرار التكويني يكون عندما يتوجه الشخص إلى الله سبحانه وتعالى مع انعدام كل سبب ظاهري كالشخص الغريق مثلاً ، وأما الاضطرار التكليفي فهو عندما يصل الانسان إلى درجة اليقين بالتوحيد الأفعالي ويعلم أن لا مؤثر إلا الله وان جميع الاسباب هي مسخرة لإرادته وقدرته حتى يغلب هذا اليقين على خياله وتوهمه ولهذا يكون متوجهاً بكل قلبه إلى الله تعالى ، ومن البديهي أن هذا المقام الشامخ والنادر ، هو أعظم ما يتمناه العظماء كما ورد في المناجاة الشعبانية عن أمير المؤمنين (ع) : «الهي هب لي كمال الانقطاع اليك» ويقول الامام الصادق (ع) في جواب مسألة انه لماذا لا يستجاب لنا دعاء فقال : لأنكم تدعون من لا تعرفونه فيعلم من هذا البيان الدعاءالذي وعد الله بإجابته هو قليل جداً ، ولكن لا يخفى أنه صل

---

(١) الكافي الجزء ٢/ ٤٩٠ .

اجابة الدعاء الذي وعد الله به هو باب عظيم من فضله واحسانه ، ولهذا فهو يعاملنا بفضله ورحمته ، أي حتى لو كانت ادعية الناس فاقدة للشرائط في الغالب إلا أنه يستجيب لهم بفضله وكرمه ، وقد دعوت انا العاصي الآن المرات وطلبت من الله المنان حوائجي فأعطاني الله تعالى ذلك مع أنني على يقين من أن أغلب تلك الأدعية كانت فاقدة لشرائط الاستجابة .

فسبحان الله الحكيم الكريم الحنان المنان

س ٥ : قال الله تبارك وتعالى في الآية ٣ من سورة النساء : ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباح فإن خفتم الاّ تعدلوا فواحدة﴾ . وقال أيضاً في الآية ١٢٩ من سورة النساء : ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل﴾ فما الفرق بين العدالة الظاهرية والمعنوية؟ وما هو الميل النفسي المتعلق بهذا الموضوع ؟

ج : المراد من العدالة في الآية الأولى المأمور بها في حالة تعدد الزوجات هي العدالة في الحقوق ورعاية التساوي بينهن لأن ترجيح احداهن وتفضيلها يكون ظلماً للآخرى ، مثلاً لو نام مع احدى زوجاته في ليلة وجب عليه أن ينام مع كل واحدة من زوجاته الأخريات ليلة معينة ، ولو نام مع احداهن ليلتين وجب أن ينام مع كل واحدة من الأخريات ليلتين أيضاً وهكذا . وكذلك يجب مراعاة العدالة في الانفاق أيضاً بحيث لا يرجح احداهن على الأخرى ابداً حتى لا يظلم الأخرى ، بل ويستحب أن يساوي بينهن في النظر أيضاً وفي طلاقة الوجه . وكذلك يستحب رعاية التساوي في المواقعة أيضاً ، وكذلك أن يبقى في الصباح مع الزوجة التي بات عندها في تلك الليلة ، ولا شك أن هذا المقدار من التساوي والعدالة بين الزوجات بالتفصيل المذكور أمر ممكن ومقدور ولذلك ورد الأمر به .

وأما المراد من العدالة في الآية الثانية حيث يقول **﴿ولن تستطيعوا أن**

تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ . . هي العدالة التي تكون خارج اختيار الانسان والمقصود بها المحبة القلبية والميل القلبي ، لأنه لا يمكن أن يحب جميع زوجاته بالتساوي لأن الميل والمحبة القلبية خارجة عن اختيار الانسان ، فمثلاً الجمال هو أحد تلك الأمور الخارجة عن اختيار الانسان حيث يحب الانسان من يكون جمالها أكثر . ومن جملة ذلك حسن الاخلاق والسلوك حيث يزداد حب الانسان لمن تكون أخلاقها احسن ، وقد روي في كتاب الكافي عن ابن أبي العوجاء عندما اعترض على هشام بن الحكم وقال بأن الآيتين متناقضتان فسأل هشام ذلك من الامام الصادق (ع) فأجابه إن الآية الأولى في النفقة والثانية في المودة .

وبما أن العدالة التي بمعنى التساوي في الحب أمر غير مقدور فلذلك قال الله تعالى **﴿فلا تميلوا كل الميل﴾** بسبب عدم وجود التساوي في الحب . وقد ذكر بعد الآية موضحاً للمراد منها «فلا تميلوا كل الميل فتذروهـا كالمعلقة» ويعني أن لا تتركوها بشكل شبه المطلقة فتتمكن من التزوج بشخص آخر ولا تشبه المتزوجة التي لها حقوقها الزوجية .

وورد عن رسول الله (ص) انه مع كمال عدالته بين زوجاته خصوصاً في أمر التقسيم بينهن أنه كان يقول : (اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تأخذني فيما تملك ولا أملك) أي في المحبة القلبية .

لا تكتموا الشهادة

س٦ : لقد حرم الله سبحانه وتعالى كتمان الشهادة وجعلها بشاهدين عدلين ، ولكن في الزنا جعلها أربعة شهود بحيث لو شهد ثلاثة ولم يشهد الرابع وجب اقامة الحد عليهم للقذف ، فهذا الأمر يوجب كتمان الشهادة ، وهو يعارض النهي في الآية عن كتمان الشهادة ويؤديها إلى تقوية أمر الزنا .

ج : جميع الأمور تثبت شرعاً بشهادة عدلين إلا في اللواط والزنا فيجب

اربعة شهود عدول وهذا الحكم تعبدي محض ولا بد أن تكون فيه مصالح لا نعرفها ، ولعل إحداها أن الله عز وجل لا يحب انتشار وإشاعة الفحشاء ، لأن ظهور واشاعة هاتين الفاحشتين يؤدي إلى زيادة الجرأة على ارتكابها والاستخفاف بها ، والآخر أن أشاعتها ينافي صفة الغيرة وقد ورد في الحديث : أن غيرة الله أشد من غيرة الأنبياء ، وغيرة الأنبياء أشد من غيرة المؤمنين .

وأما مسألة كتمان الشهادة ، فالشهادة تجب فيها اذا توقف عليها احقاق الحق وابطال الباطل بشرط أن لا تكون بضرر الشاهد أو سائر المؤمنين بل وحتى المشهود عليه كأن يكون المشهود عليه معسراً ، فلو شهد الشاهد عليه وثبت الحق وجب حبسه حتى يؤدي ما عليه من الحق فحينئذٍ لا ينبغي على الشاهد أن يشهد .

اذن من أراد أن يشهد عند الحاكم الشرعي على أحد بالزنا يجب أن يحضر معه ثلاثة شهود آخرين ليشهدوا معه ، فلو لم يأت بهم بأن كانوا جميعاً ثلاثة أشخاص فلا يمكنهم اداء الشهادة لأنه لا يثبت الحق بشهادتهم بل يحد كل واحد منهم للقذف لأنهم اتهموا شخصاً بالزنا ولم يثبتوا ذلك شرعاً ، فلا يعترض على اجراء الحد عليهم من هذه الناحية ، واما ما ذكر في السؤال من تقوية أمر الزنا فهو اشتباه لأن ذلك يؤدي إلى امتناع الناس عن القذف بالزنا وكذلك يفهمهم كبر معصية الزنا .

س٧ : لقد خص الله تعالى نفسه بعلم الغيب كما في آخر آية من سورة لقمان ولكن شوهد بعض الأشخاص يخبرون بالغيب ثم يقع ما أخبروا عنه كاملاً . نرجو رفع هذا الاشكال ؟

ج : تختص الاحاطة الكلية بجميع عوالم الوجود وجميع مراتب الغيب والشهادة بالله عز وجل وليس له شريك أو نظير ، فكما أنه هو الخالق لكل شيء فكذلك هو المحيط بكل شيء وهو الذي علم عين ذاته المقدسة ، وأما علم سائر المخلوقات بالنسبة إلى الغيب ، فالمستفاد من كثير من الروايات أن بعض مراتب

الغيب مختصة بالله عز وجل ولا يطلع عليها ملك مقرب أو نبي مرسل ، ولعل هذه المرتبة من العلم هي العلم بذات وحقيقة الله عز وجل ، وأما غير هذه المرتبة فجميع الأنبياء والمرسلين يعلمون بوحي والهام من الله تعالى حسب ما تقتضي مشيئته ، ومن هنا يعلم أن الآيات والروايات الدالة على نفي علم الغيب عن غير الله سبحانه وتعالى حتى الأنبياء والأئمة انما هو العلم الذاتي بالغيب الذي هو مختص بالله تعالى ، وأما الأنبياء والأئمة فليس لهم من العلم شيء من عندهم فكل ما يعلمونه انما هو بتعليم الله لهم ولا شك أن رسول الله (ص) والأئمة عليهم السلام كانوا مطلعين على الغيب حتى ان كتب الأخبار مليئة بالأخبار الغيبية إلا أنها جميعاً من تعليم الله عز وجل لهم .

وأما اطلاع بعض الأشخاص على أمور الغيب والأخبار عنها كأصحاب علم الفراسة الذين يعلمون ببعض الحوادث قبل وقوعها ويخبرون عنها ، وكذلك بعض المنجمين الذين يخبرون عن بعض الوقائع عن طريق معرفتهم بالنجوم والضاربون بالرمل والجفر الذين يخبرون عن بعض المغيبات بسبب بعض الرياضات النفسية ، ويلحق بذلك تسخير الجن وكسب الأخبار بواسطتهم فنقول : **أولاً** : أن من المعلوم أن جميع هؤلاء لا علم لهم بما وراء الطبيعة مطلقاً ، بل ان معلوماتهم منحصرة بأمور جزئية وليست في جميع الحوادث بل أقل القليل من الحوادث التي تقع في هذا العالم .

وثانياً : أن اطلاعهم ناقص دائماً ، ولا أحد منهم يعلم على سبيل الجزم واليقين ، فلهذا لا تكون اخبارهم محل اهتمام العقلاء ، فلو أن طبيباً أخبر بسبب تجربته وقياسه نبض المريض عن حالات المريض القادمة لكانت اخباره أقرب إلى القبول من أخبار اولئك الأشخاص لأنهم يفتقدون الأساس الصحيح والعلمي لتلك المعلومات ، بل أنهم أنفسهم لا يعتمدون على أخبارهم أيضاً فأما علم الفراسة فواضح أنه بأجمعه من المظنونات . وأما علوم النجوم والجفر والرمل فالمستفاد من الروايات أن ما وصل إلى أيدي الناس منها ناقص ولذلك شوهد

خطؤها كثيراً وهي مذكورة في الكتب ، وحتى الأشخاص الذين يصادقون الجن فقد ثبت أن معلوماتهم محدودة جداً . نعم من الممكن أن يخبر كل من أولئك الأشخاص عن بعض الحوادث نظراً لما يشاهدونه من مقتضياتها ولكن بما أنهم جاهلون بالموانع فلذلك يظهر كذبهم غالباً ، كأن يخبرون بموت فلان بسبب معرفتهم بمقتضى موته ، ولكن لا يعلمون أن هذا الشخص سوف يوقف لدفع الصدقة أو قراءة دعاء أو صلة رحم فيتأخر موته ، ولذلك ورد النهي شرعاً عن الرجوع لكل واحد من أولئك الأشخاص الذين يخبرون بالغيب ونهي عن ترتيب أثر على كلامهم ، بل ورد الأمر بالتوكل على الله تعالى في جميع الأمور والسعي في أعمال الخير خصوصاً الصدقة والدعاء .

والخلاصة أن العالم علماً ذاتياً بجميع العوالم هو الله سبحانه وتعالى فقط ، وما كان عند الأنبياء والأئمة من علوم الغيب انما هو من فضل الله وافاضاته ، وأما سائر الطوائف المذكورة فلا يوجد لأي واحد منهم علم جزمي بأي حادثة ، وما وقع طبقاً لأقوالهم انما هو مجرد مصادفة لأن كذبهم أكثر من صدقهم حتماً . وكذلك يجب أن يعلم أن إخبار هؤلاء الأشخاص اضافة إلى انه ليس من علم الغيب بل هو ظن أو وهم وهو الاساس لعلومهم ، أن علومهم مستندة إلى الأسباب الظاهرية (وأما علم الغيب فهو مختص بالله تعالى ومن أفاض عليه من ذلك العلم من الأنبياء والأئمة (ع)) . كذلك نقول إنها ليست تحقيقية ولا تفصيلية ، أي انهم لو فهموا شيئاً على سبيل الصدفة وأخبروا عنه فإنهم يخبرون عنه بشكل مجمل فلو علموا بموت زيد مثلاً نجدهم يجهلون كيفية موته في آخر عمره ووقته وغير ذلك . فالعلم المطلق بجميع الحوادث مع كامل الخصوصيات مختص بالله تعالى فقط . انما الغيب لله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

المحتويات

دار التعارف للمطبوعات

الادارة والمعرض : حارة حريك ـ المنشية ـ شارع دكاش ـ بناية الحسنين
تلفون : ٨٣٧٨٥٧ ـ ٨٢٥٧٥٨ ـ ٨٢٣٦٨٥
صندوق البريد : ١١ ـ ٨٦٠١ = ١١ ـ ٦٤٣